AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01034 4707

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهر

04-13549.85

DC
203
S3X
1928

رب الحرب

او

نابليون الأول

تأليف

عبد الحميد سليم

طالب (B.A) في الآداب

حقوق الطبع والنشر للمؤلف

الطبعة الاولى سنة ١٩٢٨

ثمن النسخة ١٠ قروش

مطبعة وادى الملوك بالعشماوى بمصر

920
N162a

9228

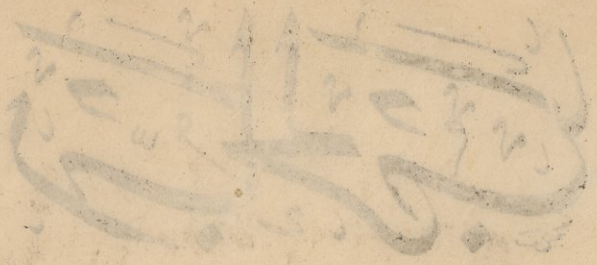

٩٢٤ / ١٤٤

نابلس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الامين وعلى جميع أنبيائه والمرسلين

أما بعد فهذا سفر نابليون الاول (رب الحرب) كما لقبه بعض المؤرخين . دفعنى الى وضعه ما أراه من محبي التاريخ في تقديسهم سيرة ذلك البطل العظيم الذى خبر الدهر وكبح جماحه وبنى له مجداً لا يمحوه كر الغداة ومر العشى وقد اسميته (رب الحرب) فهو خليق بان يحمل بسموه وعظمته هذا اللقب . أكتب هذا السفر فى حياة بطل تناولته أقلام المؤرخين من كل صوب . فمنهم من روى سيرته في اسهاب ممل ومنهم من قص ناحية من حياته في إيجاز مخل . لا يقنع بقراءتها الشغوف الذى يريد أن يحيط علما بخلال هذا الجبار

الداهية وعواطفه ومزاياه في شتى أطوار حياته حين كان فتيا وشيخاً . أخا وزوجا وعاشقا . وقائداً مظفراً ثم كسير الفؤاد مقهوراً .

لم أختر شطراً من سيرته ولا ناحية من حياته فحسب بل طرقت كثيراً من أسرار حياته وأطوارها . ولامراء فى أن السواد الاعظم يجد لذة وعبرة فى مطالعة حبه لجوزفين وخطاباته الغرامية لها مما يدهش لها قارىء سيرة رجل حربى شغف بالقتال وتلذذ بسفك الدماء . طباعه القسوة . وجبلته تعكير صفو السلام .

كذا أوردت أعماله الحربية تلك التى شغلت جل أيامه وكانت سببا فى ازاعة صيته وجعلت منه شخصية فذه مثالا للجرأة . ورمزاً للبطولة باقيا أبد الدهر ذخيرة للاحفاد . اذ كيف يتفق ما آتاه نابليون مع مناسبات الحياة البشرية !

ولقد رجوت أن يكون هذا الكتاب وصفاً مجملا لحياة نابليون فافردت لكل ناحية من نواحى حياته فصلا خاصا فكانت له تلك ميزة . وذلك خشية التكرار وراحة

للقارىء حتى يلج الغاية التي يرجوها دون اضطراره الاطلاع على الكتاب كله فيتم له الامر بدون عناء .

فالى كل نفس سامية تنشد المثل العليا تتخذها اسوة حسنة والى أبناء وادى النيل الكرام الذى وطأت أرضهم قدم نابليون أجود بما جادت به قريحتي مقدما أول سفر ألفته وأنا بين جدران دور العلم عسي أن أكون قد وفقت الى القيام بشيء للخدمة العامة والسلام ؟

عبد الحميد سالم

القاهرة فى أول ديسمبر سنة ١٩٢٨

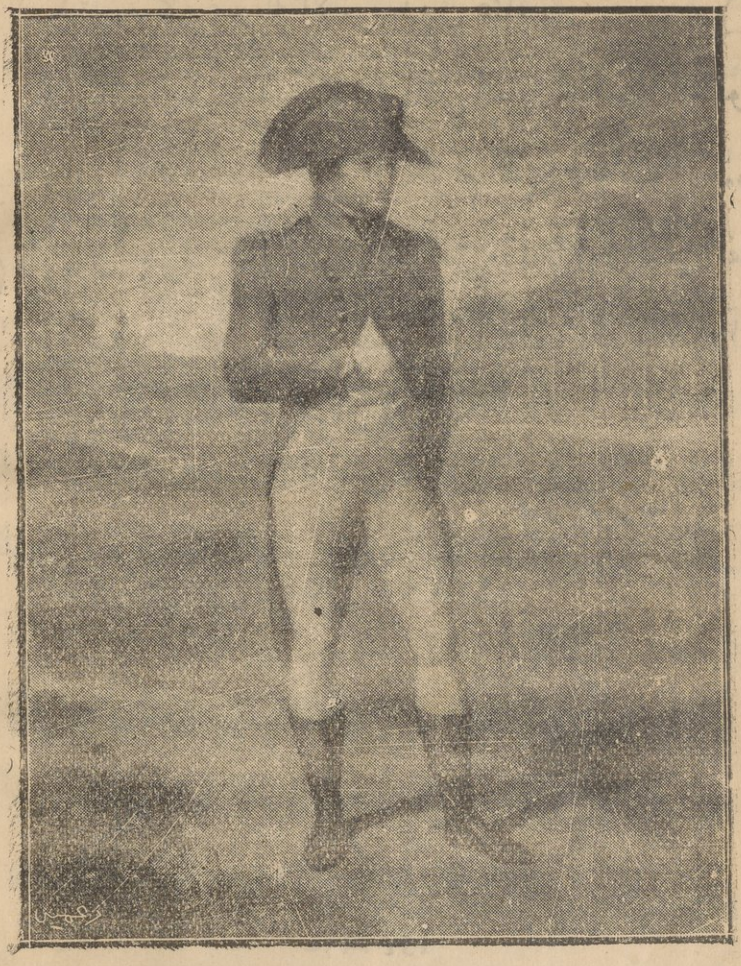

(نابليون فى مالميزون)

الفصل الاول

أيام الصبا

في باكورة اليوم الخامس عشر من شهر اغسطس سنة ١٧٦٩ غادرت لاتيشيارا مولينو منزلها قاصدة إحدي كنائس مدينة أجاكسيو عاصمة جزيرة قرشقه حيث تؤدى فريضة الصلاة كما هي عادة أهل هذا البلد . وما كادت تنهى صلاتها حتي شعرت بألم حملها على الاسراع الى دارها حيث وضعت طفلها الصغير الذى سمته نابليون نابليونه

وقبل أن نعرض لذكر سيرة ذلك البطل يجدر بنا أن نذكر شيئاً عن أصل والديه . قال كل مؤرخ عنهما ما شاء أن يقول فمن مثبت لهما رفعة الى سالبها وقائل أنهما كانا في ضعة .

لست محابيا لهذا أو ناقداً لذاك فلدينا مصادر وثيقه تعرفنا أصل نابليون

لما عقد أمبراطور النمسا لابنته على نابليون قال « ان لم

أكن على ثقة من أن عائلة نابليون كعائلتي لها شرف حسبها وعراقة نسبها ما منحته ابنتي قط »

تصريح كهذا يفوه به امبراطور من ابراطرة اوربا العظام لهو الدليل الكافي والحجة الدامغة على شرف نسب نابليون وطيب منبته وعراقة أصله.

كان ابوه شارل بونابرت شريف من أشراف أجاكسيو بقرشقه. درج من سلالة عائلة تسكانية الاصل ونزل بتلك الجزيرة وتزوج بغادة حسناء عام ١٧٦٥ اشتغل شارل بالمحاماه فنبغ فيها وأحرز من ورائها شهرة ذائعة اكسبته احترام عارفيه من سكان الجزيرة

كانت لاتيشيا فتاة حسناء ذات قوام معتدل ووجه فاتر جذاب يسحر كل من يراه. جمال بارع وصفات خلابة لم تؤثر فيها مؤثرات الزمان من كبر أو تحمل آلام. رغم انها كانت على نقيض أمهات عصرنا الحاضر. تزوجت لاتيشيا ولم تبلغ الخامسة عشر من سنها فكانت مدبرة مقتصدة في معيشتها. أدارت بيتها بحزم وثبات مما جعل المطلع على سيرة ابنها يصدق مايذكره

لنا الفلاسفة من وراثة الابناء أخلاق ومزايا الامهات .

كيف لا يصدق ذلك ؟ أليس نابوليون هو ابن لاتيشيا وقد عشق النظام بفضل ما اقتبسه من تعاليم أمه! أليس نابوليون هو ذلك المقتصد الذى رمي زوجته باللوم لتبذيرها وان يكن قد أحبها حبا جما !

مات شارل بونابرت ونابليون واخوته صبية صغار ومالهم من عائل إلا دخل بسيط يسد رمقهم ويكفي ضروريا تهم. قابلت لاتيشيا ذلك برباطة جأش وحصافة رأى . لاقت مافرضه الزمان عليها وهي صاغرة فما ولولت أو يئست حتى صدق القائل عنها « رأس رجل فى جسم امرأة »

كتب نابليون عن مولده فقال « ولدت وسط عواصف من الضجيج والهياج . ولدت وثلاثون ألف جندى من الفرنسيين ينزلون بوطننا فما كنت أسمع الا صراخ القتلي وأنين الجرحى وتنهد المصابين . ولدت ودموع اليأس وزفرات الالم تحيط بمهدى »

شب نابليون وترعرع ولم يحطه ابوه بكبير عناية فتارة

يجري مع البحارة على شطوط البحار وطوراً يتسلق سفح الجبال مع رعاة الاغنام. يصغي بأذن واعية لما يروى له عن ثورة القرشقيين وهياجهم ومطالبتهم بحرية بلادهم يسمع كل ذلك وتبدو من اليافع القرشقي الحسرة على بلده المنكود الحظ

أهمل نابليون تسع سنين ونصف وهو على هذه الحال استاذه راعي الغنم ورفيقه رجل الشاطيء. أخذ عن هؤلاء الرعاه قصص ابطال قومه كباؤولى وغيره فكان ماروى علي سمعه دافعاً له علي حب الجندية والانخراط في سلكها

انس شارل في أبنه ميله الى الجندية فصار يوالى الرجاء والالتماس من ذوي الشأن وأرباب النفوذ كي يحصل على مركزين مجانيين لولديه جوزيف ونابليون وبعد التعب والوصب الحق الولدان بمدرسة اوتون لتعلم اللغة الفرنسية. وفي ظرف ثلاثة شهور كان نابليون قادراً على الالمام بها بعض الشيء وكان ذلك عام ١٧٧٩

كان شعار نابليون منذ صباه « الغاية تبرر الواسطة » فلما اندمج القرشقي المسكين بين طلبة مدرسة برين الحربية

وجد نفسه وسط بيئة لم يألفها . وسط اقران من ابناء علية القوم فى باريس ينفقون الكثير ويصرفون عن سعة فلاول وهلة لم يلائمه جو برين

كانت ترشقه وقتئذ تابعة لفرنسا وكان أصدقاءه الفرنسيون بالمدرسة يعيرونه لاذلال بلادهم لبلده وتبعية قرشقه كمستعمرة لفرنسا. كان يستشيط نابليون غيظا لذلك ويجيبهم «ما كان الجندى الفرنسى قادرا على قهر الجندى القرشقى ولكن ما حيلتنا وقد كان يحيط بالقرشقى الواحد أربعة من الفرنسيين »

أراد زميل له أن يزيد من حدته فقال « ولكن أبوك رضخ » فأجاب نابليون « لست غافرا لابى ومسامحا إياه »

وكلما تردد ذكر بطل بلاده بأولى تنهد وقال بتمتمة « كم أود أن أكون مثله » فانظر كيف كان شعور صبي يبلغ العاشرة من عمره . حماس يتأجج في صدره وشعور فياض يذكو فى فؤاده وغيرة على وطنه وبلاده .

كان يؤلم نابليون جداً مايبدو له من غرائب في بيئته الجديدة وبخاصة ما كان يعانيه من صعوبة نطق الفرنسية

والتكلم بها صحيحة . كما كان يبدو اسمه غريبا فى نظر اقرانه فكانوا ينادونه (لابايل أونيه) بدلا من (نابوليون)

يظهر لنا مقدار ضيقه وصعوبة مقامه بين اخوانه ما كتبه لوالده وهو بالمدرسة .

« اذا لم ترسل لى مايسد حاجتى في الوسط الذى أنا فيه دعنى أعود اليك حالا . أمور كثيرة تتعبنى . قصر اليد والفقر المدقع وتهكم أقرانى مع انهم لم يفوقوا عني الا فى الصرف ليس بينهم من فرد يشعر ما أشعر به

استدعنى ياوالدى من بريين ودعني أعمل كميكانيكي بأحد المصانع وكفى أن تشرح لك تلك الكلمات مقدار يأسى وبؤسى

ظل نابليون على حالته هذه ولم يجد حيلة للخلاص منها ولكن كانت شجاعته وصراحته عاملا على ظهوره بين إخوانه . أبدى لهم نابليون بأكورة النبوغ ولم يبد ما بقى عليهم أن يعرفوه مما برهنت به الايام فيما بعد : من أن هذا الشاب يحمل بين جنبيه نفسا طماحة وقلبا خفاقا

وفي أكتوبر سنة ١٧٨٤ غادر مدرسة برين والتحق بمدرسة باريس الحربية وكان سنه إذ ذاك خمسة عشر سنة لم يغير من طباعه ولم ينف إحدى خصاله بل هو هو نابليون

أرادت أخته أليز مجاراة قريناتها فى الصرف فحذرها نابليون بقوله « ان أمي لديها مصروفات كثيرة وليس عندي عمل أكسب منه فانسجي على منوالي ولا تبذري فى أشياء ليس من ورائها فائدة »

مكث نابوليون سنة بمدرسة باريس ثم رقي الى رتبة ملازم ثان . بفرقة ڤالانس في أكتوبر سنة ١٧٨٥ وكان أحد الستة الذين تخصصوا في المدفعية

كتب الضابط الذى امتحن نابليون مذكرة عنه عند تأديته الامتحان النهائى طالب مثابر . العمل ديدنه يفضل الاستذكار عن كل شيء صموت يميل الى العزلة يؤثر الايجاز في جوابه طماع معجب بنفسه »

لم تكن حياة نابليون في ڤالانس أسعد حالا عن عن أيامه في المدرسة . فكان يتقاضى راتباً ضئيلا قدره ٢٢٤

ريالا سنويا . فى سبيل قيامه بعمل شاق !

فتش نابليون عن المرأة لتكن واسطته في سبيل الرقي فتعرف بمدام كلوبير صديقة الكثيرين من ذوي المكانة والنفوذ يبدأ نابليون يتأنق في ملبسه ويتكلم برقة حتى يكسب محبة مدام كلوبير . وتعرف أيضا بمدموازيل ميون دسبلاس التي كانت تحبه وشجعها على ذلك حسن طالعه وزلاقة لسانه وما كان ينقصه الا تعليم الرقص

وفي سنة ١٧٨٥ توفي والده وأصبح هو العائل لامه وأخواته فزادت عليه المسؤولية . وصادف ان مرض حينئذ فغادر فرنسا الى قرشقه بأجازة ١٥ شهراً أخذ ينظم فيها شؤون عائلته ويفكر فى مستقبل إخوته فالحق أخاه لويس بمدرسة حربية فرنسية .

ولما انتهت اجازته رجع الى فرقة أوكسون وهنا يقول نابليون انه كان ينام ست ساعات ويأكل دفعة واحدة فى اليوم ويستبدل ملابسه مرة فى الاسبوع

وقف نابليون فى أوائل المنحدر فلم يهو في شرك الهوى

وقد كتب عن الحب وهو فى اوكسون فقال « اني أرى ضرر الحب أكثر من نفعه فهو ضار بمصلحة المجتمع وسعادة الفرد ولعل الذي صرف نابليون عن اشتغاله بالحب في ذاك الوقت وفاة والده وثقل عبء المسؤلية عليه مما صده عن هذا السبيل

وفى مايو سنة ١٧٩١ رقى نابليون الى رتبة ملازم أول والحق على الاثر بفرقة المدفعية الرابعة .

شاهدنا ماجبل عليه نابليون من ميل الى الحرية فلامراء في انه يقدس فكرة الثورة ويرحب بها فاندمج في سلك جمعية أصدقاء الدستور كاكتم أسرارها وله فى تلك الجمعية من الخطابات ماحفظها له اعضاؤها ويقولون انها مملوءة حماسا مثيرة للنفوس مبعثة الى الثورة

الا ان رجلا حربيا كنابليون يجب الا يظهر بهذا المظهر فتربيته العسكرية لاتلائمها الفوضي وارتكاب الجرائم تحقق تدريجيا من حماسه وتشبعه الشديد للثوره . وقد سببت له الفكرة الاولى معاكسة رؤسائه ورفاقه له نذكر منهم

الشفالية ديدوفيل فاضطهده اضطهادا شديداً .

ولما أصبح نابليون امبراطورا لفرنسا لم يجزديدوفيل كما كان ينتظر . بل أوعز اليه أن يرجع الى وطنه ليشغل احدى الوظائف الكبيرة في الجيش الفرنسى

وقعت البلاد فى ظرف سيء فأحاطت بحكومة فرنسا الاخطار الجسام . فرأى نابليون من واجبه تعضيد حكومة اليعاقبه لدفع تلك الاخطار التى طفقت تهدد البلاد فعين عام ١٧٩٣ قائدا للمدفعية فى حصاز طولون ولنابليون الفضل في اذلالها واخضاعها فقد أتى بما يشكر عليه رغم اعتصام المدينة بمعونة الانجليز والاسبان

وفى سنة ١٧٩٥ وقعت فتنة بمدينة باريس فتمكن نابليون بهمته من اكتساحها ونجح في دفاعه عن المؤتمر . فكانت تلك الاعمال الجليلة التي قام بها ذلك البطل وتعرفه بجوزفين بوهارنيه وبزواجه اياها سببا في تعيينه قائداً للحملة الايطالية

الفصل الثانى

غرام نابليون — حياته الزوجية

لقد كان لنابليون ميل إلى النساء الرائعات الجمال شأن كل فتى في عنفوان شبابه ولقد كان من أطواره استرسال إلى الأسى نجم عن تقلبات الحدثان وما صادف من صعاب. قال تورين فى مذكراته عنه « إنه يميل إلى الزواج ميلا شديداً دفعه إلى أن يغبط أخاه جوزيف حين تزوج بالآنسه دزري كلارى ولقد قال « ما أسعد الشقى جوزيف انه متزوج وفي سعادة يغبط عليها »

كانت دزرى ابنة تاجر شهير، وطالما فكر نابليون في الزواج منها. كانت قرة عينه ومهجة فؤاده يحبها حبا تأصل فى شغاف قلبه. على انه لم يك واثقا بحبها له فلقد كتب الى أخيه يوم كانت دزرى معه فى جنوي « ان دزري لا تكتب إلى منذ سافرت الى جنوى »

وأمل نابليون بعد عدة أيام أن يرتحل الى نيس فكتب

الى أخيه يقول « سوف أراك وأرى دزري إذا سافرت الى نيس »

وفي اليوم التاسع من شهر اغسطس كتب إلى أخيه بعد أن جاءه كتاب من دزرى وأظهر رغبته في الاقتران بها .

واصلت رسائله إلى أخيه فى هذا الشأن ولكن اقترنت دزرى أخيراً ببرادوت ووضعت على رأسها تاج أسوج بدلا من تاج فرنسا فهي لم تكن تشاطر نابليون عواطفه المتوقده وحبه المبرح .

وحدث يوما انه كان منشرح الصدر طروبا فأخذ بيد مدام تاليان يقرأ فيها نصيبها وما قدر لها فى المستقبل وبدأ يتدفق من فيه سيل من الفكاهات ليزداد سرور الحاضرين فبدا للعين في مظهر يخلب الألباب ويأخذ بمجامع القلوب . فلقد كانت تلك السيده بارعة الجمال نادرة المثال تشملها النعماء وترفل في حلل الهناء . بينا ترى العين نابليون ضئيلا نحيلا معروق لحم الوجه يرتدي ثوبا عسكريا ويسترسل شعره كما كان يفعل أجداده السالفون .

وهناك سرب من النساء الرائعات الجمال جالسات ينظرن ذات اليمين وذات الشمال . يبسمن عن لؤلؤ منضود ويكشفن عن سواعد كالمرمر وهن بارزات النهود مائسات القدود. ومن بينهن امرأة هى جوزفين أرملة ومارشيه ذلك الزوج الذى مضي وتركها تندب [illegible] . كانت جوزفين تجهل ذلك المستقبل المفعم سعادة والى هناء فلقد صارت بعد ثلاث سنوات امبراطورة الفرنسيين وتلقت إكليل الزواج من يد البابا . فهل كان نابليون حينما كان يستطلع كنه مستقبل مدام تاليان على علم بما أعدته له يد الحدثان وهل قرأ في صفحة المستقبل أن سيصير سيد أرباب التيجان ... ؟!

(جوزفين بوهارنيه)

جوزفين بوهارنيه

ولدت جوزفين عام ١٧٦٣ فى شهر يونيو وشبت وترعرعت بجزيرة مارتينيك إحدي جزائر الهند الغربية . ثم اقترنت بالمركيز اسكندر بوهارنيه القائد فى جيش الجمهورية ودقت المقصلة عنقه كما دقت أعناق كثير من الابرياء أيام حكم الإرهاب فتركها أرملة دهراً كانت جوزفين على جانب من الرقة ذات صوت رقيق يأخذ بمجامع القلوب . عذبة اللسان جمة المحاسن رشيقة القد فى مقدورها إخفاء ما نقص من تربيتها العقلية والمدرسيه . فلم يكن لشخص أن يعيب عليها شيئا . وقع نابوليون فى غرام تلك المرأة الارستقراطية التي زادت عليه بست سنين ولم ينهه عن حبها فقر تشكوه ولا ولدان تعولهما .. ولقد كان لصداقتها مع بارا ذى النفوذ تأثيراً علي مشاعره .

كانت جوزفين رزينة مالكة لعواطفها غير أنها مالبثت أن خضعت لتلك الشجاعة والثقة بالنفس وسعة العقل . ولتلك النظرة الثاقبة التى كثيراً ما أوقعت الحيرة في قلوب

الأعداء. ولقد يدور بخلدي أنها قد خشعت لذلك الحب المبرح فذللها تنبأت أن الايام تكن مستقبلا زاهراً لنابليون.

اقترح كرنو في مجلس الخمسمائة تعيين نابوليون قائدا للحملة الايطالية إذ أدرك ذلك الرجل المجرب قيمة الخطط التي وضعها نابوليون فى صيف السنة السابقة وكانت السبب الاكبر في انتصارات الثورة فى الخارج. قبل هذا الاقتراح فى اليوم السابع من شهر مارس سنة ١٧٩٦ وبعد يومين من هذا التاريخ تم عقد الزواج.

كانت صالة السيدة تاليان سببا فى تعارف نابوليون بجوزفين دى بومارشيه وصار يزداد هيامه بها يوما فيوما حتي قيل عن عشقه هذا أنه أول عشق داخل قلب نابليون على ما كان يبدو منه. كانت سنه وقتئذ لا تزيد عن سبع وعشرين ربيعا وجوزفين تبلغ الثانية والثلاثين فلم يحل ذلك دون تملكها لقلبه.

تحامل بعض المؤرخين في وصفهم لجوزفين ويبدو لى أنهم جاروا فى حكمهم. فهى لم تحرم من نضارة الشباب بالقدر

الذى يبدو لنا من تحاملهم . حقيقة لم يضارع جمالها جمال مدام تاليان الا ان سحنتها كانت كافية لاجتذاب قلب لم يطرقه الغرام كقلب نابليون .

ولقد وصف المؤرخون جوزفين بتوسط القامة وتناسب الاعضاء وقلة التكلف في حركاتها وسكناتها . ذات عينين شديدتى الزرقة وحاجبين كهالتين حول عينيها المتألقتين وكانت تبدى غالبا ملابس من السندس الرقيق .

لاقى نابليون من أعدائه تحاملا كما لاقت شريكته فزعم أولئك المؤرخون أنه كان يرمي في حبها لجوزفين الى غرض الحصول على منصب رفيع بالجيش الفرنسى وهو القيادة العامة لجيش ايطاليا . ولكن الاخرين من المعتدلين فى الرأى يؤكدون أنه أحبها حبا بريئا خلوا من كل شائبة

ولدينا أمر آخر . كانت فكرة الزواج ملازمة له منذ عام ١٧٩٤ وبرهاننا قوله عن أخيه جوزيف بعد زواجه «ان جوزيف لسعيد» كما ثبت ذلك سعيه للاقتران بدزري كلارى وبدليل رغبته فى الاقتران بجوزفين التي كانت تعول ولدين

فليس بعجيب بعد أن رفضت دزرى الاقتران به أن يمد يده الى يد أول امرأة شغل بحبها وقد مدتها اليه عن طيب خاطر.

يمكننا القول أن جوزفين كانت تعمل على استمالة نابليون اليها. فالقارىء المدقق اذا اطلع على ما كانت تكتبه اليه والناقد المنصف اذا شاء أن يحلل ما كانت تشعر به نحو نابليون لاعترافا بأن التوسل كان من جانبها لا من جانب زوجها.

وإليك رسالة كتبتها لنابليون في اكتوبر سنة ١٧٩٥

« مالى أراك وقد انقطعت عن زيارتي. انا صديقتك المحبوبة وقد علق قلبي بحبك فكان جزائى الاهمال. لعلى اراك غدا فأطفىء من نار حبي المستعره فى فؤادى وأحادثك في أمر يتعلق بمصلحتك

أقبلك أيها الصديق »

وقعت تلك الكلمات موقعا حسنا لدى نابليون فلم يرمانعا من الضرب على هذا الوتر فكتب اليها يقول

« إنى أستيقظ ولا أري أمامي سواك. لم تبق صورتك والليلة الساهرة التي قضيناها أمس سويا لحواسى شيئا من الراحة

فماهذا الأثر الغريب الذى أحدثته في قلبي ياجوزفين أى نادرة المثال لو رأيتك اى قره عينى كاسفة البال مضطربة الفكر لتفطر فؤادى وزالت راحتى .

قبليني ألف قبله . بل امنعيها ياجوزفين فانها تحرق دمي »

وفى شهر نوفمبر عام ١٧٩٥ بدأ نابليون يتحبب إلى جوزفين ويفاتحها في نية الزواج وظل يجتمع بها لهذا الغرض حتي عقد الخطبة الرسميه سنة ١٧٩٦ فى التاسع من شهر مارس ولقد راعى نابليون عواطف جوزفين فزاد على سنه سنة وأنقص من سنها أربع سنوات.

مرت جوزفين بخطيبها أمام منزل مستشارها المسيو راچيدو لاستشارته في مسألة اقترانها بنابليون وقد سألت خطيبها أن يبقي بالخارج حتى تتفاهم فى مسألة سرية . ولكن نابليون ساوره شك فأصاخ بأذنه وسمع ما جري بينهما من حديث هو « ماذا تنوين عمله ؟ أتودين الزواج من رجل لا يملك شيئاً سوى سيفه ورداءه العسكرى ؟ ماذا يدفعك للاقتران به ياجوزفين انه رجل حربي صغير ماله من لقب ولا

مستقبل ؟ خير لك الزواج بمتعهد يقدم البضائع فهو أليق منه فى نظرى »

لم يظهر نابليون استياءه بل أضمره مع كظم غيظه وبعد ثماني سنوات دعى راچيدو إلى حفلة قصر التويلرى ليرى ذلك الچنرال الذى ليس له من إسم ولا لقب .

وفى هذه الاثناء عين نابليون قائدا للحملة الايطالية. وفى ١١ مارس عام ١٧٩٦ سافر نابليون إلى معسكر الجيش الايطالى وهو يتلفت نحو زوجته المحبوبه . وهناك فى ايطاليا بدأ بأعماله الحربية التي استمرت نحوا من عشرين سنة وكلها انتصارات وفوز للبطل القرشقى

الفصل الثالث

نابليون بعد الزواج

لم يطل المكث بنابليون أكثر من يومين حتي أرسل لزوجته رسالة قال فيها « صديقتى ومعبودتى . أتحمل مرور الاويقات بثقل لبعدك عنى . وقد تضعف قدرتي على احتمال هذا الفراق . أنت نصب عينى وفي ذاكرتي صباح مساء . أجهد مخيلتى فى تصور ماذا تصنعين . وكم يحلولى أن أتخيلك طروبة طلقة المحيا . وكم يؤلمني ان أتصورك حزينة مقطبة الجبين فهذا مايزيدنى حزنا على حزن

أرجوك مكاتبتي باسهاب لترضى خاطري وتخفضي عن القلب بعض أتعابه وتقبلى آلاف القبلات ممن يحبك أصدق حب »

لعل القاريء يسل. بما أجابت چوزفين على تلك الرسالة المملوءة أسى ولوعة . ووجدا وهياما. قد يدهشك اذا علمت أن جوابها كان قصيراً لا يتجاوز سطرين ليس فيهما من كلمة

ترضى خاطر محب وامق كنابليون تذكو نار المحبة في فؤاده وينتظر لقاء رد يطيب خاطره .

ياليتها اكتفت بما كانت تبديه لزوجها من الدلال والأنفة في كتاباتها إليه . بل تفتح خطاباته وتقرأ مافيها بتهكم علي مسمع من حاشيتها ومعارفها وتختم قولها بان نابليون « غريب تبعث أعماله إلى الضحك »

بينا كانت جوزفين على حالتها هذه كان نابليون يزداد لوعة ويتحرق حباً ويرجو لقاءها.

فكتب إليها يقول « أورثت عندى قلقا فأنام وأنا مشغول البال مرتبك الفكر. فتبدو لى أحلام مخيفة فأفقدتنى الراحة وهي عندى أغلى من الحياة . اغفرى لى ما آتيته من ذنوب تقولين إنك تحبيني فلما لا تكتبي عشر صفحات فهي تسليتي وسلواى ! هل جئت بما يحزنك ؟ كيف أكفر عن هذا الذنب . لقد ذهب حبك بعقلى فلن أرى إليه سبيلا »

وكتب أيضا « إن ماعندى من الألم لا يطيبه الدواء ولن أنال شفائى إلا برؤيتك فأضمك ساعتين الى قلبي ثم نموت سويا »

قلت إنك مريضة فمن يعنى بك ويقوم بتسليتك ؟ أظنك أرسلت في طلب (هورتنس) . كم أحب هذه الفتاة . كيف لا وقد قيل لى إنها تنزل السلوان على قلبك »

سأظل قلقا حتي يرد إلى خطاب مسهب يعرفنى عن مرضك وان كان الامر من الخطورة بمكان سأسرع للسفر إليك .

كيف لا ولست أفكر فى امرأة أخرى غيرك . فانت دون النساء تروقني فى ناظرى للطفك وظرفك وجمالك لك كل ماأملك فروحي مقيمة في جسمانك فاذا متمت أنا معك . »

تتلقى جوزفين تلك الرسائل وهي ساكنة فما حاولت أن تجيب نابليون على طلبه بل أظهرت غاية من البرود . واذا ردت ففي رقيم يحوي أسطرا قلائل تشمل أعذارها المنتحلة من مرض أو حمل أو غير ذلك مما أدخل الريب في قلب نابليون. يدلنا على ذلك ما كتبه إليها في رسالة تلك العبارة خاتمتها « وليعلق بذهنك أنى لاأستطيع أن أرى لك حبيبا »

غير أن نابليون لم يثق الثقة كلها في نفور زوجته من

لقائه . فقد تلت الرسالة السالفة رسائل عديدة يستنبط من خلالها القارىء أن حب جوزفين لم يتزعزع في قلب نابليون وإليك بعض ما كتبه :

« شريكتي المعبودة . علمت بمرضك فمرضت من أجلك وستظل تلك الحمى مستعرة في جسمي حتى أستلم بريداً خطه أنامل سيدتي ومولاتي »

وكتب إلى كارنو « إني أقدم لك جزيل شكرى لتوليتك العناية بقرينتي في ظرف مرضها . فقد خدمت وطنك بخدمتها لأنها وطنية مخلصة وأنا هائم بها »

ومما كتبه الى أخيه جوزيف « مالي وقد أحاطني سرب من الاوهام المخيفة مذ علمت بمرض امرأتي . طمئنني ياجوزيف يامن يهمني أمره بعد جوزفين — بما عليه جوزفين . انك ولا أخالك الا عالما بمبلغ حبي الشديد لاول امرأة أعبدها : مرضها يزيد كربي وآلامها تورثني اليأس . وإذا تحسنت صحتها دعها تزورني فقد عظم شوقي إليها واشتد . لعلها ترفض ياجوزيف فيما تعلل ذلك . أما اذا كانت لا تحبني فاني

لا أريد البقاء إذ مللت هذا العالم . كيف لا أرد ذلك وبهجر جوزفين أهجر سعادتي ! وهل تجدى تلك الظواهر اللامعة لا .. لا ..»

ولقد كان الرقيم الآتى آخر كتاب خطه نابليون مظهرا فيه قلقه وقد جلس ليتخيل طيف جوزفين وما هي عليه من جمال وكان شؤما عليها . اذ بعده لم تحظ بما كانت تلقاه من رسائل نابليون تلك التي تفيض حبا ووجداً .

« لست مستريح البال ولا هادىء الخاطر . فانى أود معرفة ماذا تصنعين . كنت في إحدى القرى فوجدت بحيرة راقنى منظرها فجلست عند ضفتها على نور القمر الفضي وكنت أكرر باستمرار اسم جوزفين . أقبلك ألف قبلة مقدار مافيها من ضرام . مقدار ما لديك من برودة »

الفصل الرابع

بدايه الشك وطلاق چوزفين

بدا لنا مما سبق ذكره أن شيئا من القلق بات يخيم على نابليون فتوالت عليه الوساوس و كثرت عنده الشكوك مما جعله يفكر في أن هناك سراً في الامر .

لم يحمل نابليون الى التفكير في ذلك الا وجود أدله جليه يلقيها على مسامعة نفر مما يحيطون به ويرقبون سير زوجته وأن تكن چوزفين قد تظاهرت بالغيرة فيما أرسلته اليه الا أنه لم يكن إلا تحويلا لافكاره وتبديداً لظنونه .

وصل الي نابليون خبر ما كاد يسمعه حتى سلم بصدقه : فقد كان جمهور من الضباط الشبان يحيطون بچوزفين في مسكنها يميلان وقد غالوا فى أكرامها والتزلف إليها نخص بالذكر من بين هؤلاء ضابطا شابا يدعى هيپوليت شارل امتاز بحسن الهندام والاهتمام بنفسه حتي يبدو جميلا فى اعين الفتيات كان نحيف الجسم اشود الشعر حنطى اللون حلو الحديث

الكثرة لطائفه ونكاته . فكانت تلك السجايا والاوصاف باعثة على وقوع چوزفين أسيرة لحبه . ولما انتشر هذا الخبر بين رجال الجيش تألم نابليون أشد الالم فعزل الضابط الشاب وبجانبه فئة ممن شاركوه في القيام بعملية التزلف والملاطفة لزوجة رئيسهم وقائدهم الأكبر في فرصة غيابه

لعل القارىء يوفق الى الاسباب التي حملت چوزفين على عدم الاكتراث بنابليون ومقابلة خطاباته الملتهبه ببرودها الشاذ . ذلك جلي وقد رأينا ما كانت عليه چوزفين . نعم كانت فى محيط واسع جامع لضروب الملذات وشتى المسرات وليس عليها الا انتحال عذر في ردها تؤجل به سفرها الى حيث كان نابليون حتى انه عمد الى كتابة تلك الرسالة فى ١٧ سبتمبر :

« چوزفين إنك لشنيعه . أكتب اليك كثيراً ولم تكتبي إلى إلا قليلا . أثبت انك طائشه بل وانك خداعة تخونين عاشقا متيما . هل تحملى بالمتاعب والآلام تكن سببا في ضياع حقوق محب مثلى ؟ ألا مالذة الحياة . وقد أبت چوزفين أن

تؤكد حبها لى ! »

وكتب اليها :

« فيما تمضين يومك . وما الحائل بينك وبين مكاتبه مغرم طيب القلب . ما اسم هذا الحبيب الجديد الذي نافس نابليون في حبه ... حذار . حذار ياجوزفين فسأقرع الباب فجأة ذات ليله ... وسأجتهد فى ملاقاتك قريبا وانهال عليك بقبلات حاره وملتهبه كجو خط الاستواء »

وكتب أيضا

« طيشك ولد فيك عدم اكتراثك . فأصبحت « ونابليونك العزيز » لا يعنيك . ما أضعف حبك فسرعان ماهب وسكن . لا تجعلي لخطاباتى من أثر في نفسك فسيرى علام أنت عليه من ملذات وملاهي إذلك السعادة وحدك ولزوجك البؤس وسوء الحظ دون سواه »

وكتب اليها في رسالة أخري

« ان زوجا لا تميلين اليه لا تهتمين بشقائه أو سعادته وانى لمخطيء اذا طلبت منك أن تحبينى بقدر حبي لك فان

فعلت لكان مثلى مثل رجل يطلب أن يكون وزن القطن كوزن الذهب . لعلى لا أملك من الجاذبية والجمال مايجذب قلبك . ألست مستحقا إكرامك واحترامك ياچوزفين يامن يلتهب فؤادى بنار حبها ولا يرضى بها بدلا

أودعك أيتها المرأة المعبوده أودعك ياچوزفين »

دفن نابليون حزنه بين طيات فؤاده وستر الامر حفظا لمكانته : وصيانة لشرفه لدى رؤساء الدين والشعراء الذين كان يطربهم كل يوم ضرب من النصر جديد .

لم يكن حب نابليون حائلا دون عقاب چوزفين فحسب وكان لما سبق دخل كبير .

واليك قصة طريفه تدلنا على أن امبراطور الفرنسيين وسيد المعارك لم يستطع أن يخرج كلب چوزفين من غرفتها وقد أراد النوم . ويقول أن هذا الكلب (فورتنيه) كسيد منافس له حب چوزفين . يشاطره فراشها . ولقد أراد ليلة أن يخرجه فقالت له زوجته « تخير أحد الامرين إما الرضاء بالنوم معه أو تركى ونومك في محل آخر » ويدهشنا رضوخ

نابليون لحكم امرأته إذ يقول » ولكني اضطررت أن أقبله معى» فانظر أثر الحب كيف يطأطيء هامات الجبابره العظام!

كان نابليون في ذاك الوقت امبراطوراً لفرنسا يتلألأ نجم سعده فى سماء العالم . وچوزفين تتمتع بمجده وتحظي بسمو لقبه إلا انها لم تكن تعرف للاقتصاد نظاما فكثيراً ماكان تبذيرها مدعاة لتكدير صفاء الامبراطور وسببا فى شكايته لتجاوزها حد الصواب والحكمة فى بذل المال

أثر كل ذلك في نفس نابليون حتى كان دافعا له الى القول في مجلس الدولة « أن النساء لا يشتغلن الا بالملابس والملاهى أفليس من الواجب احترام المرأة لرغبات زوجها فلا تجالس من لا رغبة له فيه »

بدت الغيرة فى نفس چوزفين بازدياد مجد نابليون وسعده. يثبت ذلك ما ظهر على اسارير وجهها عندما رأته يحادث المغنية برانشوا في الأوبرا وليس لها من ضروب الجاذبية إلا صوتها الرنان وعندما طرق سمعها ميله الى احدى ممثلات مسرح «الكوميدى فرنسيز » وكانت فتاة بارعة الجمال كثيرة اللطائف

غير أن ذلك لم يبد جليا إلا عندما سافر نابليون عام ١٨٠٧ الى بولونيا . وقد زاد فى شكها ما كانت تعرفه عن شهرة الجمال البولونى وتغير زوجها عن حالته الأولى

تبدلت الحال وأصبحت جوزفين تلح على زوجها أن يسمح لها بالسفر الى بولونيا . أليست هي المرأة التى كانت تخلق الحيل وتوجد الموانع لبقائها فى باريس وزوجها يمطرها وابلا من الرسائل يرجو لقائها وهو يحرز النصر تلو النصر في ايطاليا . وقد عمدت إلى أستطلاع حظها في ورق اللعب لترى أقدر لها السفر أو عدمه . غير أن ما كتبه نابليون الى جوزيف وقتئذ من رسائل تحوى الكلمات السارة الداله على الوداد والحب حتي لا يساورها الشك كانت في الحقيقة تحوى أسبابا عديدة لتحول دون قدومها اليه فمن هذه الرسائل :

« إنه كلما عظم المرء كثرت مشاغله فزال استقلال إرادته »

كانت تلك الرسائل وما تحويه من اعذار مضرمة لنار غيرتها اذ خشيت تزلف الحسان بين يديه ومغازلته البولونيات الجميلات

لم يعرف نابوليون لذة الحب الخالص المتبادل إلا في بولونيا . تعرف هناك بحسناء تدعى مدام واليسكا جمعته بها حفلة راقصة حوت زهرة نساء بولونيا وكانت بارعة الجمال صبوحة الوجه شقراء واضحة الجبين

هام نابليون بحب مدام واليسكا وفي اليوم التالي استمال رجلا من كبار حاشيته ليأتيه بها . فامتنعت أولا أنفه ودلالا كما هي عادة ربات الجمال وذوات الحجال . وبعد أخذ ورد أقنعها بالمجيء فيما بين الساعة العاشرة والحادية عشرة مساء .

وصف كونستان لقاءهما فقال « ان نابليون كان تارة يقعد وتارة يمشي وقبيل وصولها بقليل كان قلبه كقلب تلميذ ضرب أول ميعاد لحبيبته فأخذ يخفق وصبره ينفذ . وكان يسأل دائما عن الوقت وبيناهو على تلك الحال وإذا بالمحبوبة البولونية قادمة اليه صامتة ممتقعة اللون . تترقرق الدموع في محاجرها وظلت تكشف له عن أسرارها القلبية حتي دقت الساعة مؤذنة بحلول الساعة الثانيه صباحا ثم ودعت نابليون وهي مبللة الأجفان بالدموع وظلت توالى زياراتها إلى أن سافر

الامبراطور صحبة جيشه لغزو الروسيا

تعددت كتب چوزفين إلى نابليون تطلب السماح منه بالسفر الى مركزه فكان يجيبها ناصحا لها بالكف عن هذه الأمانى. محاولا اقناعها بأسباب عده من بينها المسافات القصية وسوء حالة الجو وماشا كل ذلك . تفطر قلب چوزفين وتحرج صدرها فاستولى عليها الهم والغم وزفرت العبرات حتي وصل ذلك الي مسامع نابليون فكتب اليها يقول :

« بلغنى أنك تبكين دواما فما أقبح عملك هذا . أطلب منك التمسك بالحزم والثبات وأود أن تكوني سعيدة وأن تعودى إلى باريس باسمة الثغر ». لقد أضحكنى قولك « انى اتخذت لى زوجا لأصحبه فى حله وترحاله » لانى أرى ان المرأة لرجلها والرجل للوطن

ولقد ثبت بالبراهين القاطعة أن حب مدام واليسكا لنابليون استمر بعد سفره الى معسكر الجيش . ولم يجمل نابليون الى حبها جمالها فحسب . بل كان هناك سبباً آخر أثر تأثيراً خطيراً فى شأن الطلاق وهو أنه قادر على الاستيلاد

بعد أن كان يشك في سبب العقم أمنه أم من چوزفين؟

ولما مال نجم نابليون الى الافول باعتزاله في جزيرة إلبا تخلى العالم عنه . فأثر ذلك في نفس مدام واليسكا وذهبت الى الجزيرة لتروح قلبه وتعزى نفسه فصدق ماقاله عنها نابليون « إنها لملك كريم »

وردت الاخبار المشينة بسمعة چوزفين اسوء سلوكها ونابليون بجهة العريس صحبة جيشه وقدعارض أخاه چوزيف لما ألح عليه فى طلب الطلاق بدليل قوله :

« ليس الطلاق بهين فالامر فوق طاقتي ان ضلوعى تحوى بينها قلب انسان وما كانت أمي نمرة فليس من العدل أن أرمي بزوجتي في البؤس والشقاء »

ظل نابليون مظهراً هذا الشعور الشريف معاملا چوزفين بحالة حسنة . الا أن توالى المؤثرات حملته على تقريره الطلاق وكان ذلك فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٠٩

اضطربت چوزفين لهذا النبأ وأغمى عليها عند سماعها بطلاقها فكان منظرها مؤثراً أيما تأثير . أشار الامبراطور الى

البقاء وحده صحبة الامبراطورة وبعد برهة سمعت صيحات جوزفين ترن في الردهة مما أربك الحاجب بالباب وظن ان الامبراطورة قد أصيبت بضر . فتح نابليون باب الغرفة وسمح لأحد رجال حاشيته يدعى دي بوسيه بالدخول وغلق الباب . هال دى بوسيه ماقد رآه . رأى الامبراطورة ملقاة على السجادة تبكي بكاءاً مراً وقد قالت بصوت مختنق « لا . لا . لا يمكننى ان أعيش بعد هذا »

سأل الامبراطور دى بوسيه أن يحمل الامبراطورة إلى غرفتها الخاصه حتى يعنى بها . فحملها بين ذراعيه وحمل نابليون مصباحا . ولما كانت درجات السلم ضيقة . خشى دى بوسيه عاقبة الوقوع فساعده الامبراطور بحملها من ساقيها بكل عناية وقد شد دي بوسيه علي الامبراطورة بكلتا ذراعيه . وظل الامبراطور مضطربا حتي كلمت جوزفين دى بوسيه بصوت خافت وقالت « أنت تضغطنى كثيراً » . إلا أن شدة قلقه وتقطع نبرات صوته . وتبلل ما قيه بالدموع دلت دلالة جلية علي شدة اضطراب الامبراطور مما دفعه الى الارسال

في طلب طبيب القصر و (هورتنس) ابنة جوزفين ومستشار الامبراطورة الخاص (كامباسريس) وماكان يوم ١٢ ديسمبر حتي مثلت چوزفين الى الشفاء تماما .

وفي مساء اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٨٠٩ اجتمع جمع كبير من عظماء الدولة وأعضاء الاسرة الامبراطوريه لتوقيع نابليون وچوزفين عقد الطلاق على مرآى منهم وكم كان مؤثرا منظر نابليون والدموع تسيل على خديه ! وچوزفين ويدها ترتعد لهول مالاقت !

الفصل الخامس

الزوجة الثانيه — ماري لويز

ما لبث نابليون بعد طلاق جوزفين ان استطلع رأى أمبراطور النمسا في شأن زواجه بابنته ماري لويز حتى يحظى بالحصول على سلالة أمبراطوريه والتمتع بزوجة من أعرق الاسر المالكة مجدا في أوروبا.

تبودلت المفاوضات على صورة ودية فى المبدىء وسرعان ما اتخذت طريقا رسمياً. ولم تبد جوزفين أي أثر يحملنا الى القول بان الزواج كان على غير ارادتها بل نجدها وابنتها (هورتنس) تشتركان فى الامر.

وفى ٤ مارس عام ١٨١٠ تم الرضا وسافر (برتييه) موفدا من قبل نابليون قاصداً ڤينا لتقديم الهدايا النفيسه التى جادت بها نفس نابليون لتقدم للعروس وقد قدرت بمبلغ ١٫٩٠٠٫٠٠٠ من الفرنكات من بينها صورة لنابليون وقد رصعت بالماس الخالص

(ماری لویز امبراطورة فرنسا)

وفي ١١ مارس أقيمت حفلة الزفاف بين مظاهر العظمة والابهة فبرحت مارى قصر أبيها في موكب فخم تحت إشراف أمير من أمراء الأسرة المالكة وصحبة اثنى عشرة سيدة من سيدات القصر.

ولنصف الآن كيف تلاقي العروسان، وكيف تلاقى عصامي وضيع بابنة بيت من أقدم البيوت المالكة فى أوروبا.

أقيم سرادق للامبراطور يقابله أخر للامبراطوره وأقيم ثالث بينهما تلاقى في مربع فيه العروسان. تقدم نابليون نحو زوجته المنحنية ونهض بها ثم قبلها ورافقها الى مركبة ملكيه ذات ستة مقاعد حيث جلست والاميرات حولها

هذا وصف مجمل ليوم الزواج وقد روعيت فيه التقاليد النمساويه جارية علي التقاليد الامبراطورية ولو تصورنا في الذهن كيف دقق في تحقيق خطة الزواج لعلمنا مقدار معاناة نابليون فى سبيل حصوله علي القبلة الاولى من كريمة أمبراطور النمسا.

أظهرت مارى فى أيامها الأولى سلامة الطوية وحسن

المعاشرة مما ساعد على تأسيس بيت يسوده الحب . كانت عيشتها راضية فرفلت فى حلل الرغد والهناء يثبت ذلك ما بعثت به ماري الى اثنتين من اصدق الناس اليها تقول « طلبتما لى الهناء فاستجاب ربى دعاء كما وأرجو أن تحظيا بما حظيت به »

وفى يناير عام ١٨١١ كتبت لاحدى صديقاتها « في مقدورك تصور ما نحظي به من ملاذ وملاهى فى مدينة عظيمة كباريس »

وفى يونيو كتبت للصديقة عينها « إن حزني لمفارقة نابليون يكدر صفاء سعادتى التي اتمتع بها وسط حاشيتي ولن أكون سعيدة الا أذا كنت علي مقربة منه اتمتع بطلعته »

وكتبت ايضا « لن أكون قريرة العين حتي أرى الامبراطور فالله اسأل أن يقيك مثل هذا الفراق فانه على القلب اليم شديد »

وفي ٢ أكتوبر سنة ١٨١١ كتبت تقول « لى أمنية واحدة أسأل الله تحقيقها عما قريب . هى عودة الامبراطور فان وجود ابنى فحسب لا يكفل سعادتى لحظة واحدة »

كتبت تلك الرسائل في أزمان متباينة لصديقتين من رفيقات الصبا تشكو لوعتها وتشرح مقدار حبها للامبراطور فلو حكمنا الحكم العدل لدحض ما زعمه خصوم نابليون عن اساءته معاملتها اللهم الا اذ شاؤا انتحال الاعذار ليبرروا خيانة مارى لويز لزوجها عند ما كسر من موقعة (ووترلو) .

كيف لا ندحض اختلاقهم ! أليست مارى لويز هى القائلة « ان الامبراطور كان حسن المعاشرة . كان يظهر لي كل إكرام وإعزاز » فلو اقترف نابليون في معاملتها إثما لما شهدت له تلك الشهادة وقد كان من مصلحتها قلب الحقيقة حتي تخفف من شناعة الخيانة التي ارتكبتها بعد سقوط نابليون .

بالغ نابليون فى إكرام مارى لويز فكان يعنى بها عناية شديدة . ويشملها بنظرات الحب والسرور ويفاخر بها كل انسان وقد بلغ من حبه لها أن أمضي الثلاثة الاشهر الأولى لزواجه وهو ملازم لها ليل نهار واذا تركها فليقوم بأعمال هامة

هذا فضلا عما كان يتوسل به ذلك الامبراطور ليقف على حقيقة زوجته مما يحملنا الى القول بأن نابليون كان افضل

زوج . فليس في وسع بعل أن يبدى من لطف المعاشرة ورقه المعاملة اكثر مما ابداه نابليون .

بلغ من شدة حب نابليون لماري لويز أنه سأل البرنس مترنيخ فقال « انت صديق الامبراطوره وهى لاتخفى عنك شيئا . أريد أن تستفسر لى عما يجول بخاطرها بحرية تامه » ولما تلاقيا فى اليوم التالى فاجاه مترنيخ بالجواب الآتى «ان الامبراطورة لاتشعر إلا بالسرور فتقول انها سعيدة ولا تشكو شيئا »

ظل هذا الشعور ملازما نابليون فى سلمه وحربه وراحته وكربه . فلم تؤثر عليه المعامع ولا نازلة الروسيا التي نزلت على نابليون وقتئذ بل لانغالى اذا قلنا أن شوق الامبراطور كان شديداً حاراً وقد كان يخشى أن يطرق سمعها خبر انخذاله فكتب لكامبا سريس المستشار الامبراطوري الاكبر عام ١٨١٣ يقول « يجب علي الوزراء أن لايخبروا الامبراطورة بما يورث لها قلقاً أو حزناً »

ولما عقدت دول أوربا حلفاً ضد نابليون عقب الحرب الروسية

التي خاب أمله فيها. ثارت فرنسا وقامت فيها المعارك والحروب مما ذهب بعقل نابليون خشيه وقوع الامبراطورة والدوق ريشستادت فى قبضة العدو فكتب الرسالة التالية «انى أوثر ذبح ابنى على ان يربي في بلاط النمسا ويظهر لى أن الامبراطورة على هذا الرأي»

قال نابليون لامينه بعد أن خذل وتنازل عن عرش فرنسا في فونتنبلو واضطر الى السفر الى جزيرة البا وقد ودع حرسه ذلك التوديع المؤلم المشهور « إن إلبا جزيرة صغيرة لا تليق بمثلى ولكن يمكننى أن أعيش فيها سعيداً مع زوجتي وابنى »

وعند مغادرته فرنسا كتب الى مارى يقول « أودعك أيتها العزيزة فاصبرى وصابرى واعتمدى دائما على زوجك وشجاعته وصداقته لك »

الامبراطورة الخائنة

وصل نابليون إلى جزيرة البا ومكث بها أياما ولم يتلق خبرا من ماري لويز . فعمد الى التوسل لبعض رفقائه في فرنسا لحملها على مراسلته والسفر اليه . غير ان هذا لم يجد فتيلا فكانت توجه ماري الى المتوسلين اليها أذنا صماء .

ولما ضاقت بنابليون الحيل رجا دوق (تسكانى) خال ماري لويز ليكون واسطة بينه وبين ابنة أخته تلك التى باتت لاتعبأ بتوسل نابليون ورجائه وأصبحت تظهر قلة الاكتراث لمصابه .

غير أن نابليون حاول عبثا فى لقائها أو مراسلتها ولم يحظ الا بمقابلة تلك البولونية الحسناء التي كتبنا عنها آنفا .

تركت ماري فرنسا كى تحمي نفسها وابنها الدوق رشستادت في بيت أبيها إمبراطور النمسا بحجة أن الحلفاء يزحفون على فرنسا مما يهدد حياة ساكنى القصر الامبراطورى ويجعلها فى خطر . غير ان نابليون لم يعر هذا التفاتا لسلامة

AUC - LIBRARY

طويته . وحسن نيته. فمظنة الخيانة لم تكن لتخطر بباله

غير أن للامور رواسى ونهاية تقف عندها . فلما اغ فساد قلب تلك الزوجة التى جمعت بين النذالة والخيانة حداً قصيا . واصبحت ولا يسرها الا كسر الجيوش الفرنسيه وقهر الاعداء لها وأصبحت لاتعبأ بالالسنة اللاذعة التي تناولت عرضها. وأصبحت ولا تذكر شيئا عن ذاك البطل التي عزت بعزه وحسدت لاذاعة صيته ونعمت بنعمائه . نعم أصبحت ولا تحس الا احساس أميرة نمساويه معادية لفرنسا لا امبراطورة فرنسيه ترجو النصر للفرنسيين

جاءت النشره الرسميه متضمنه أخبار تفوق الاعداء (أى دول أوروبا المتحالفة الزاحفه على فرنسا) لكثرة عددهم وحسن نظامهم وان الفوز معقود بلوائهم . وان جنود الحلفاء تسحق الجنود الفرنسيه سحقا . فلما وصلت تلك الاخبار التى تؤلم امبراطورة فرنسية (لو كانت من الفرنسيين أنفسهم) قالت لمن حولها « إنى لمبتهجة مع الجميع بالاخبار السارة التى تتضمنها تلك النشرة »

تقول ماري لويز أمثال تلك الاقوال ويعتذر نابليون لها فيقول « من الصعب على أن أسلم بتصديق مايقال لى عن ماري لويز فلاحرج عليها ان بدا منها شيء . أليست مارى ضحية أيام غيابي فى جزيرة إلبا ؟ »

نستخلص مما سبق عن حياة نابليون الزوجيه . انه تزوج بخائنتين . غير أن مارى لويز تعتبر المثل الاعلى في الخيانة والخباثة . إذ عرفت كيف تستعمل المداراة فى إخفاء ماانطوت عليه من رذائل ولكن سرعان ما استرسلت الى سجيتها الطبعية عند ما خذل زوجها وأمنت سطوته

مولد الدوق ريشستادت

وفى ٢٠ مارس عام ١٨١١ حوالى الساعة الثامنة صباحا ولد الوارث الامبراطورى الذى طالما اشتاق إليه نابليون ليرث العرش بعد أبيه وليخلف سلالة امبراطورية . يذكرها له التاريخ بعد مماته. ويتوج اسمها بلقب (العائلة البونابرتيه)

أصدر نابليون أمراً يقضي بطلق ٢١ مدفعاً إذا كان المولود أنثى أو ١٠١ اذا كان المولود ذكراً.

احتشدت الجماهير على أرصفة الطرقات بقلوب خفاقه وأعناق مشرأبه . يعدون طلقات المدافع طلقة طلقة بصوت جهورى مسموع . وكم كان مبلغ يأسهم . لما غاب صوت الطلقة الثانية والعشرين. وكم كان مبلغ فرحهم وحماسهم لما دوت فى آذانهم فما جوا فى الطرقات والميادين يصيحون فرحين

وكانت الايام العشرة التاليه لهذا اليوم كلها فرح وأعياد وولائم تسقى فيها المدام. وتسمع فيها الانغام. والسوقه يغنون الاناشيد. كل ذلك من اجل ولادة ملك روما . ولما

سمعت چوزفين دوى المدافع دعت صديقاتها ومن يحيط بها من بني عشيرتها وقالت لهم « واجب علينا أن نشارك الشعب في أفراحه. إن ولادة ملك روما ليوم عيد لدينا فسأقيم حفلة رقص جامعة لكل الطبقات فيشاركنا السوقه في أفراحنا » وقد أخذ ملك روما خلسة بدون علم مارى لويز الى چوزفين وقد طلبت رؤيته.

كانت ولادة ملك روما صعبة أليمة مما جعل الطبيب المولد يخشي على حياة ماري وانه ولا محالة ينتظر رأى نابليون بما يضحي إذا ألجأته الضرورة ؟ ولكن قلب الزوج تغلب على قلب الامبراطور في ذاك الموقف الحرج فأجاب الطبيب بقوله فكر أولا في الام » فوضع حياة زوجته فوق حياة ابنه وفلذة كبده.

وكانت الصعوبة في الولادة ظهور الطفل معترضا مما زاد فى تأثر نابليون. فكنت ترى وجهه ساعة العملية التي اقتضتها الحالة أصفراً ممتقعا.

طفحت كأس حبوره لما طارت البشرى اليه بنجاة

ماری فأسرع يقبلها ويضمها الى صدره . ثم تركها وأسرع الى طفله . مدفوعا بصرخته. وأخذ يقبله فى عينيه وخديه. وأوصى الطبيب بصحبة الامبراطوره حتى يطمئنه على تحسن حالتها .

وقف نابليون متستراً ينظر الى الشعب الهائج الطروب وقد سالت مدامعه فبللت أجفانه . من شدة فرحه . كيف لا يفرح وقد أوجد له سلالة من العدم تحكم أعظم امبراطورية فى أوربا ! كيف لا يرقص طربا لو قارن بين ما وصل اليه الآن وما كانت عليه حاله أيام الصبا والفقر المدقع !

كان نابليون شديد العناية بابنه . يلاعبه بنفسه . ويوقع الاوراق والرسائل وهو علي ركبتيه. أو مضموما الى صدره. وكثيراً ما كان ينطرح علي الارض بجانب مهده . يفكر في أمور الدولة الخطيرة ويرسم الخطط العميقة . وأظهر غير ذلك من المبالغة فى العناية التى يلقاها الطفل الوحيد من أبيه مما يحملنا الى القول بأن مرضعة ملك روما كانت بغير ماجدوى لو رزق الله نابوليون الثديين فحسب .

قال كونستان فى مذكراته « كثيراً ما كان الامبراطور

(الدوق ريشستادت)

يعاكس ابنه فيقف به أمام مرآة ثم يبدى له من الاشارات مايجعل الطفل يكثر من الضحك . كان يكشر له أو يخرج له لسانه أو يجلسه على ركبتيه ويغمس إصبعه فى المرق ويلطخ به وجهه)

ولما ذهب نابليون إلى ميادين الحرب طلب من الامبراطوره إرسال صورة ابنه . ولما وصلت الصورة الى يد نابليون وقف برهة يتأمل فيها والجنود من حوله تهتف بحياته . غير أن نابليون دفع الصوره الي سكرتيره قائلا : « احفظها لديك . انريه المعامع وهو طفل صغير ان هذا سابق لأوانه »

لم تكن تلك العاطفة الابوية فى نفس نابليون نحو ابنه وفلذة كبده فحسب . بل كان يعامل أوجين ابن جوزفين نفس المعاملة فكثيراً ما كان يرشده ويبدى له النصائح فكتب اليه أثناء حملته على مصر يقول « ليكن نومك تحت الخباء ولاتركن الى العرب . ولاتنم مكشوف العينين فى مهب الهواء . أقبلك »

وكتب اليه أثناء تعيينه فى ايطاليا « يا بنى إنى مرسل لك حساما كنت أتقلده في حرب ايطاليا فعسى أن يكون طالعه حسناً عليك »

ولقد بلغ من شدة حنوه نحو أوجين ان تبناه بصفة رسمية عند عقد قرانه على ابنة ملك بافاريا . التى كان يعتبرها نابليون كابنته أيضا . وقد أرسل كتابا الى أوجين ليسري عنهم اوغستا وقد كدرها ان وضعت أنثي فقال « ماذا يكدر أوغستا . الا نها ولدت بنتا ؟ اذا كان هذا هو الواقع فقل لها ان التى تبدأ ببنت تلد اثنى عشر ولداً »

الفصل السادس

نابليون في ميادين السلم

أبدى نابليون من الدهاء في معاركه فى مصر وإيطاليا ماصار مضرب الامثال . فلما ان آب من مصر كان لرجوعه رنة فرح فى إرجاء البلاد . لسوء حالة فرنسا من عدة وجوه . فالملكيون يبثون الفتن فى لاڤنديه . والثورات الداخليه تزداد يوما بعد يوم . والاشتباك مع الدول المعادية لفرنسا كالانجليز والنمسويين . وما كانت تأتيه حكومة الادارة من سيىء الاعمال كمعارضتها للمحرضين ضدها . والعمل علي القضاء عليهم بمنح اعوانها المناصب الرفيعة . والرتب الساميه .

كانت تلك الاسباب باعثة الى ازدياد الحالة سوءاً . فما رجى لها من صلاح . اللهم إلا إذا تولى نابليون اصلاح ذلك الانقلاب الاجتماعى . والضرب على أيدى حكومة الادارة بيد حديدية . وقمع فتن المتطرفين الذين كانوا يتطلعون إلى اعادة حكم الارهاب والرجعيين معهم سواء بسواء .

فلما عاد نابليون الى موطنه فى أكتوبر عام ١٧٩٩ . رأى انه من الحكمة الاستناد الى رأس مفكر . وقد شاهدها في سيس فانضم اليه وحزبه .

كان نابليون وليداً للثورة الفرنسية فأخذ السلطة من أفواه مواطنيه . لا عن طريق الوراثة . فقام بتنظيم حكومة وسط بين الجمهورية والملكية : جمهورية لانها تستند على ارادة الشعب . وملكية مطلقة لانه استأثر بالسلطة فى يده .

اتبع نابليون خطة بسيطة قائمة على الجرأة ليقلب نظام الحكومة فتم له ما أراد . ولقد اعتبر أن تلك الخطة أعظم ما آتاه في حياته كما قال لمدام دي روميزا التي كانت زوجة للكونت شارل دى روميزا رئيس السراي أيام نابليون وكانت زوجته كبيرة وصيفات الامبراطورة جوزفين . « تلك فترة حياتى التى أظهرت فيها أعظم مقدرتى » .

وذلك انه فى عام ١٧٩٧ كانت أغلبية المجلسين من الملكيين . بينما كان السواد الاعظم من رجال الادارة لا يزال من الجمهوريين فأشار نابوليون حينئذ بتطهير المجلسين من زعماء

المعارضين كي لا يفت فى عضد الجيش فى ايطاليا بعودة الملكية الى حكم البلاد . وسارع فعلا بتعضيد حكومة الاداره ونصرتها باستخدام جنده . فاصطفوا عند مدخل الاورانجيرى والحراب تلمع فى أيديهم للقضاء على خصومها وتعرف هذه الحركة فى التاريخ بانقلاب فركتيدور .

وفى ١٨ نوفمبر سنة ١٧٩٩ حصل انقلاب برومير الذى تمكن به نابليون من القضاء على دعاة الفتن والاضطراب وتأليف حكومه مؤقتة على رأسها نابليون وسييس وديكو لادارة شؤون البلاد ريثما تم تشكيل دستور جديد يعهد أمره الى لجنة مكونة من المجلسين تحت اشراف الحكومة المؤقتة وقد تم وضع هذا الدستور في عام ١٧٩٩ . وأهم ماتضمنه وضع السلطة الرئيسيه فى يد ثلاثة قناصل . على أن يكون نابليون القنصل الاول له حق إمضاء المعاهدات واعلان الحرب ورئاسة كل من الجيش والادارة بملحقاتهما .

نظر نابليون إلى قانونه من ناحية المصلحة . من ناحية اتفاقه مع العقل فجاء وليس فيه غموض ولا عسر . موفق بين تشريع

الثورة والتقاليد المعروفة القديمة التى حفظها الخلف عن السلف من أبناء فرنسا

فشدد على سهولة تغيير الزوجه وقيد ذلك بشروط . كما أنه فرض على المرأة اطاعتها لزوجها وتقديس الملكيه للفرد واباحه الطلاق والزواج المدنى . وسلطة الولد . وغاية القول أنه وضع قانونا تضمن ما أدخلته الثورة الفرنسية من اصلاحات . أقامه على مبدأ التسامح . وشيده على الانصاف

ولكن بالرغم مما آتاه نابليون . فلم يخل عمله من هجو النقاد فقالوا وماهو بقانون . انه لكتيب يشمل بعض القوانين العامه وانه لعمل سطحي يثبت مقدار قصور واضعة وتسرعه .

انتهت الهيئة المكونة لوضع دستور ١٧٩٩ بوضع السلطه في يد الثلاثة قناصل لمدة عشر سنوات . ينتخبون بواسطة مجلس الشيوخ . ورأينا أن نابليون كان القنصل الاول . وكان بجانب هؤلاء القناصل الثلاثه . ثلاث هيئات تشريعية وهي

(١) مجلس الشيوخ ورئيسه سييس الذى انفرد بالسلطه التشريعيه . ولاعضائه البقاء في كراسيهم حتى أن يقضى نحب

الواحد منهم فتنتهى مدته . ومهمة هذا المجلس مراعاة تطبيق نصوص الدستور وانتخاب أعضاء مجلسى التربيون والتشريعى.

(٢) مجلس التربيون وأعضاؤه مائة . يستبدل بخمسهم أعضاء جدد كل عام . وليس لهم إلا درس القوانين التى يكلفون بها فقط .

(٣) المجلس التشريعى ويتكون من ٣٠٠ عضو يسقط ستون منهم كل سنه . ويحل في مراكزهم آخرين . ولهم أن يقروا قرارهم الاخير فيما يدرسه مجلس التربيون .

قلنا أن حكومة نابليون كانت وسطا بين الجمهوريه والملكيه المتطرفة . ويدلنا على مظهر الاخيرة ماقام به نابليون من طرق الاستبداد في وضع الحكام فى مراكزهم كآلات خاضعة لارادته . ولكن كان ذلك النظام المركزى الذى اتبعه نابليون أخف وطأة لو نظرنا الى النظم القاسيه التى عاناها الفرنسيون قبل ذلك بعشر سنوات .

قضى نابليون بالخطة التي اتبعها في حكم البلاد على التنافس الحزبى الذى أدي الى كثرة المشاحنات والمنازعات

بين اليعقوبيين والجيرونديين والملكيين. فظل يعالجهم بسياسته وحنكته حتي ألجأهم الى نبذ التباغض. والعمل على مبدأ التسامح. فحماهم جميعاً فى ظل حكومته المنظمه بحماية القانون غير مفرق بين هذا ولا ذاك . ومما زاد في جاذبية الشعب اليه أنه سمح للسياسيين المبعدين عن وطنهم بالعودة. وللاشراف المطرودين بالاوبه. واستحال على الفلاح الفرنسي أن يفكر يوما ما برجوع عهد الارهاب وفتره الارهاق حيث كانت محكمة الالتزام تحمله مالا يطاق من الضرائب الفادحة. ولو تصورت أن التاجر كان يدفع ضرائب على بضائعه على حدود كل مقاطعة تمربها. لعلمت مقدار غلاء السلع لضيق التجاره وتقييدها بالقيود المرهقه.

لم تنحصر كفاية نابليون في توطيد تلك النظم وإخماد تلك الفتن بل امتاز بالقدرة على اثارة النفوس وتوليد الحماسه والامر والنهي بين الناس وتلك الخلال النادرة التي يعوزها الحاكم المحنك الذي يريد نوال رضاء المحكومين. أضف الى ذلك ثقته بنفسه الى حد كبير فكان يعتقد ان ما يوحيه اليه

فكره أنفع له من نصيحة أى نفر من الناس، ممن علت مكانتهم . وامتازوا بالحنكة وقوة الذاكرة وصفاء الذهن .

ليس غريباً أن يأنس فى نفسه تلك الثقات وقد كان يعمل ١٨ ساعة في اليوم الواحد باستمرار . وبدون انقطاع . وهو حاد الذهن فكان أعجوبة لمرؤوسيه مع قلة تعليمه . وتحريفه في الكلمات عند نطقها وقد كان يراعى الاقتصاد فدقق في أمور المالية والحسابات فخشاه الموظفون الذين اتهامهم غير مفرق فى الدين أو المبدأ . وأصبح الوالي في مقاطعته . والمحافظ في مدينته . والحاكم فى دائرته . بكد ويجد كى يأمن غضب هذا الجبار المتسيطر على الصغيرة والكبيرة . فيستعرض الاوراق . ويملى الرسائل على ناموسه وامتازت تلك الاملاء في غير غموض بل دلت على صوت قوى مهيمن وعقل متوقد . ينم عن طبيعة مملية . وصعوبة مراس راسلة .

كان نابليون يقوم بتلك الاعمال الجليلة خدمة لصالح فرنسا ومراعاة لسلامة ساكنيها . والمتهورين من حزب الملكيين يتآمرون عليه لسلب السلطة من يده . والتخلص

منه بطريق القوة . وقد كان الكونت دارتوا ثانى إخوة لويس السادس عشر وتولى عرش فرنسا عام ١٨٢٤ وسمي (بشارل العاشر) المحور لتلك المؤامرة . وأعوانه في ذلك الجنرال بيشجرو فاتح هولندا إبان الثورة . وجورج كادودال أحد الملكيين فى لاقنديه

ولكن سرعان ما ألقى القبض على أولئك المتآمرين وقدموا للمحاكمة فكان الاعدام جزاءهم فعرف نابليون كيف ينتقم لنفسه من أعدائه . ولا لوم عليه فقد أتى بالخدمات الجليلة . ويقوم نفر متمرد بمجازاته بمؤامرة دنيئة

حقيقة أن نابليون أراق دماء الكثيرين ممن كانت تحوم حولهم الشبهة فى القيام بتلك المؤامرات لاغتيال حياة نابليون غير أن ذلك لم يكن الا من دهائه السياسى لكيلا يجرؤ فرد آخر على القيام أو الاشتراك في فكرة كهذه تهدد حياته . قيل له ان الدوق دانجيان على اتصال بالخائن ديموريه وقد أوعز اليه الاخير أن يسرع الى فرنسا لتولى زعامة مؤامرة على حياة نابليون . فما كان من بونابرت الا أن أصدر أمره

بالقبض عليه وإعدامه . وقبل فجر اليوم التالى أعدم الدوق دا چان رميا بالرصاص ووريت جثته فى حفرة أعدت لذلك ولما ظهرت براءة الدوق مما نسب اليه بل وانه كان غير موافق على تلك المؤامرة قال نابليون :

« لم نأت عملا نكراً فليكن ذلك درساً قاسيا للبربونيين حتي لا يقدموا علي الاشتراك في مؤامرة لاغتيال حياتى مرة أخرى »

كان ناميوز إداريا كفؤاً فاعتبر لذلك المثل الاعلي في الادارة فقام بشغل منصب القنصل الاول خير قيام فوضع القوانين وخاض غمار الحرب فمد في حدود فرنسا ولم يقم الا النزاع بينه وبين البابا . وانتهي منه بحل حاسم فنصب نفسه رئيساً للسلطة الدنيويه والبابا تملك زمام السلطة الدينية . غير أن نابليون رام شططا فلم يقنع بمنصب يشغله سنوات معدودات بل تطلع إلى مركز أعلا وأرفع . ولم يستعص عليه استفتاءه فأجيب طلبه . ووافق الشعب على منحه القنصلية سنة ١٨٠٤ مدة حياته . وله حق تعيين خلفه . وأعضاء مجلس الشيوخ .

ولم يقف حظه عند هذا الحد . بل ومنح لقب امبراطور الفرنسيين في ديسمبر سنة ١٨٠٤ وتوجه البابا على مثال امبراطورة الرومان الاقدمين . وكانت حجة الشعب الفرنسي فى منحه هذا اللقب . هى الظروف العصيبة التى أحاطت به من حروب ومؤامرات قامت ضده . ولم لبث أن عين اخوته لويس ويوسف وجيروم لوراثة العرش . وأخذ ينظم فى شؤون البلاد الداخلية . ويغير بعض نصوص الدستور كي تطلق يده إطلاقا تاما . وبعد أن فرغ من تثبيت قدم الامبراطوريه . ولى وجهه شطر الدول الاوربية المعادية لفرنسا

قبلت الثلاثة لمجالس التشريعية مبدأ الحكومة المطلقة الوراثية كما قبلها كل فرنسي بدون أدنى مقاومة . فالجنود والفلاحون والطبقة المتوسطة من الشعب رأت أنه لا شيء أفضل من الاستكانة إلى السلم بقبول نظام كنظام نابليون قائم على المساواة . فهو من اى وجهة افضل من نظم الثورة وعهد الارهاب . وذلك راجع الى ان الرجل الفرنسي فى ذلك الوقت كان مسالما كالفلاح المصري فى وقتنا الحاضر . يرجو

الحصول علي القوت من اقرب طريق سلمي لا يعرضه لتحمل اخطار او معاناة مشقة

أما عن وراثه خلفه لعرشه فقرر الا تخرج الامبراطوريه عن دائرة أبناء لا تيشيا . حتى اذا لم يكن للامبراطور من أبناء ولم يتبن أحد أحفاده . يؤول التاج الى يوسف وذريته ولويس من بعدهم ولم يذكر شيئا عن اخويه چيروم ولوسيان لزواجهما على غير ارادته فالاول تزوج من امريكيه اجنبية أحبها وهو في البحريه والثانى لتزوجه من فقيره من الطبقة الوسطى للسبب عينه . فلامهما نابليون لاعتباره ان كل بونابرتى أصبح في نظره أميراً لا يتزوج الا بأميرات فى مستواه .

اهتم نابليون عند توليته الامبراطورية بالرسميات فطفق يكون بلاطا منظما لحفلات الاستقبال مترسما في ذلك خطا البراطرة المعاصرين له . غير أن المرء كان يدهش اذا رأى ذلك القرشقى الخشن ينظم بلاطا وليس عنده من تقاليد الارستقراطية أو من واجبات الملاطفه أو من المجاملات

مايعوزها الملوك في قصورهم بل كان امبراطوراً ويمسك بيده مبراة يحفر بها على الموائد وحوائط الغرف . والاعمدة التي نصبت تتزدان بها الصالات . واذا جلست غادة من غادات القصر لا يداعبها الامبراطور إلا بشد آذانها بقوه . وكان يسلك المسلك عينه حتى مع طفله الصغير ملك روما من تلطيخ وجهة بالمرق وهو على المائده أو من الاتيان بحركات هزلية تزيد من اغراقه في الضحك .

غير أن تلك الطباع سرعان ماتبدلت بغيرها وبدت الرزانه وجلال الملك ووقار الرسميات على وجه نابليون . فالتقاليد الرسمية وطأطأة الرؤوس اجلالا والسير بخطوات معدودات . كل تلك كانت عاملا كبيراً في اظهار نابليون بمظهر الهيبة والاجلال .

الفصل السابع

أخلاق نابليون

حلل الكتاب أخلاق نابليون وسيرته . وأخذوا يكتبون ماتمليه عليه ضمائرهم ولكنهم جميعا مختلفون. لاتكاد ترى اثنين منهم على رأى واحد .

ولعل أقرب صورة الى الحقيقة ما كتبه المسيو بريان صديق نابليون . وقد كان كاتبه وأمين أسراره .

قال بوريان (لكى أجعل الناس يقفون علي حقيقة حال نابليون عقدت العزم على كتابة المادية والادبية وماعرفته من ذوقه وعاداته وطباعه وأهوائه . أجل ان المصورين والمثالين رسموا صورته على النسيج أوصنعوا له من الرخام تماثيل فأصاب نفر منهم فى تمثيله الى حد معلوم . فاستطاعوا مثلا تصوير جسمه الصغير ورأسه المستدير وخده الشاحب وحاجبيه الكثيفين وتلك الاسنان البيضاء . واليدين الدقيقتين . صوروا كل ذلك ولكنهم عجزوا عن تصوير

نظراته القلقه في محاجرها . وكانت له يدان ناعمتان يفخر ويعنى بهما . وكان يمشى وظهره منحن قليلا ويداه وراء ظهره اذا تنزه وحده أو مع سواه في البيت أو فى الحديقه . وكان يكثر من ابداء حركة عن غير قصد فى كتفه اليمنى يرفعها آونه ويخفضها اخري حيث يتوهم الرائى انهما من قبيل التشنجات العصبية . وهاتان الحركتان كانتا تنبئان عن اجهاد عقلى شديد يحوم حول خواطر كبيره . وبعد إيابه من رياضته تراه يملى علي بما يجول في خاطره .

كان قوى البنية . لا ينتابه خور وهو على صهوة جواده في ميادين القتال . وكثيرا ماسار ماشيا نحوا من ست ساعات لا يعتريه فيها كلل وكان من عاداته وهو يتنزه مع أحد أصدقائه أن يتأبط ذراعه وكان يقول (ترى يابوريان كم أنا قليل الاكل والشرب . نحيف الجسم . وكأنى بنفسي تناجيني مما تؤول اليه أمرى حين أبلغ الاربعين من عمرى . ضعيف القوى . مترهل الجسم .

كان شديد الولع بالاستحمام يعده من الضروريات

وقد تعود أن يقيم في حمامه ساعتين متتاليتين كل يوم .
وكنت أثناء ذلك اقرأ له خلاصة الحوادث . وبعض مقالات
تتضمن هجوا له قبيحا . كان يريد أن يسمع كل شيء ويعرف
كل شيء . وينظر الى كل شيء وكان أثناء مقامه فى الحمام
يفتح صنبور الماء الساخن فترتفع الحراره الى حد يجعل
القراءة صعبة على بسبب البخار الكثيف المتصاعد والحائل
بيني وبين الصحف التي اتلوها فحينئذ اضطر الى فتح الباب

وكان نابوليون معتدلا فى كل شيء متجنبا الافراط
والتفريط ولم يفته مايذيعونه عنه من الاخبار السيئة . وكان
فى بعض الاحيان يستشيط غيظا ويضيق صدره لعدم معرفتها

وكان يشاع بين الناس أنه كانت تنتابه نوب غشيان
تشبه نوب (النقطة) ولكنى في السنين الاحدى عشر التى
قضيتها معه بغير افتراق عنه لم يظهر منه ما يدل على صحة
هذا الاختلاق . فقد كان سليم الجسم متين البنية . وهب ان
أعداءه توهموا انهم يحقرون من شأنه بأذاعتهم عنه أنه
مصاب بذلك المرض . فان مريديه الذين يظنون أن النوم

لا يتفق مع العظمة لم يكونوا معادين في زعمهم أنه يحيي لياليه ساهراً . فان بونابرت كان يكاد يغيره السهر حين يغوص في لجة الكرى . وكان يريد أن أوقظه الساعة السابعة صباحا كل يوم . فكنت اسبق غيري الى دخول الغرفة . وحين أوقظه يقول لي في غالب الاعيان وهو متناعس . « يا بوريان أطلب منك أن تتركني أنام قليلا » . واذا لم يكن هناك شيئاً هاما كنت أعود اليه الساعة الثامنة . وبالاجمال كان ينام كل يوم سبع ساعات وبعد الظهر بضع دقائق . وكان نابليون قد أوعز الى بأن لا أكثر من الدخول عليه ليلا . والا أوقظه حين يكون لدى خبر سار أبلغه اياه . فلا شيء يدعو الى الايسراع في ذلك . ولكن يود أن أوقظه في الحال إذا كان لدي خبر ردي .

وعند استيقاظه يبادر خادمه إلى حلق لحيته وتسوية شعره . وبينما الخادم يجري له ذلك . أقرأ له الجرائد فيبدأ بجريدة (المونتيور) ولكنه لم يهتم الا بالجرائد الانكليزيه والالمانيه فيقول لي « اني أقرأ الصحف الفرنسية . انتقل

الى غيرها فانا أعرف مافيها فهى لا تكتب الا ما أريده »

وكذلك ما كنت أعجب من نجاته من الجرح حين يلتفت لفتة وخادمه يحلق له ذقنه . وحين يفرغ من لبس ثيابه . وكان شديد التأنق ينزل الى مكتبه فيوقع العرائض المهمة التي طالعتها مساء اليوم السابق وكان يوقع تلك العرائض أيام الاحتفالات والاستقبالات اذا كنت أذكره بأن جميع أصحابها ينتظرون أمام مكتبه

ثم يقرأ الكتب المفتوحة على منضدته بعد أن أكون قد رتبتها بحسب أهميتها . فيكل الى الاجابة عنها . وفي بعض الاحيان يجيب عنها بيده ولكن هذا كان نادراً لان الاجابة عن الكتب المرسلة اليه مجلة لضجره

وعند الساعة العاشرة يأتي خادم المائدة ويخبره أن طعام الصباح قد هيء فينزل . ولم يكن يتناول شيئاً من الروحيات وهو شديد الولوع بالقهوة واذا اضطررنا الي اطالة السهر تناول (الشكولاته) ولم يكن يتناول التبغ إلا تشدقا بكميات موضوعة فى علبه .

وكان شديد الميل للحب والحرب . ولم يكن مفتر الجبين الا في الحرب . ولا مقطبه إلا في الراحة . كان نابوليون شديد الميل للحب . ولكنه القائل « الحب مشغلة الخامل ومضيعة الجندى . وعثرة الملك » ليس الغرض من ذكر ذلك القول بأن نابليون لم يصدق بفعله ما ينطق به لسانه . فقد أحب ككل شاب فى مقتبل العمر . ولكنه قال ذلك بعد أن عانى من حياته الزوجية « اذا قدر ووقعت فى شرك الهوى فانى أحلل عاطفتى بالدقة التامة »

قال لى نابليون مرة « ان الشهرة العظيمة تتعلق بمجدى ومجدي بالانتصارات التى أصبتها . وهى تسقط ان لم أجعل قاعدتها المجد والانتصارات الجديدة . فالفتح قد جعلنى على ما أنا عليه . والفتح دون سواه يحفظنى كما أنا . ان الحكومة المولودة في الشقاء محتاجة الى أن تبهر الانظار . وتدهش الناس . وحالما تفقد اللمعان تسقط !!

ولم يكن في الحقيقة مستطاعا أن نطلب الراحة من شخص كان الحركة بعينها . وكانت عواطفه نحو فرنسا تختلف

عنها حين كان حدثا . فقد بقى مدة طويلة ضيق الصدر عند تذكره فتح التي كان يعتبرها دون سواه موطنا له ولكن ما لبثت تلك الذكري أن اختفت وصار يحب فرنسا محبة عظيمة . وكان حنانه ملتهباً بتشوقه لرؤيتها عظيمة قوية وأول أمة فى العالم تخضع جميع الامم لشرائعها

لم يكن نابليون يكف عن التفكير فقبل إضرام المعركة يهتم بما يجب ان يفعل فى حالة الانكسار والهزيمة اكثر مما يهتم بفعله في حالة النصر .

وكانت مطامعه الشديده تدفعه نحو السلطة إلا ان تلك السلطه التي اصابها زادت طمعاً على طمع . وان اعظم الحوادث تكون في غالب الاحيان نتيجة لامور تافهة وهذا هو السبب الذي من اجله كان يتوقع تلك الحوادث ولا يستنزلها فيشاهدها تتهيأ وتصبح . فيثب اليها مفاجئا ويسيرها على هواه

ولم يكن نابليون بطبيعته ميالا الى احترام الناس . بل كان يحتقرهم كلما طال تعرفه بهم . وكان دائما يقول (فلان يحركان العالم الخوف والمصلحه) ومن أعظم مبادىء نابليون

انه لم يصدق بوجود الصداقة . وانه لم يشعر بالحاجة الى الحب الا في أواخر أيامه . وكم من مرة قال (الحب ليس سوى كلمه . . . أنا لا أحب أحداً . أنا لا أحب . وربما أشعر بشيء من الحب اتجاه زف وذلك من قبيل العاده لانه أخي البكر . أحب أيضا دوروك لان طباعه تعجبني . فهو بارد جاف الخلق وصلب ماكر . لا يذرف الدمع أبداً . وأنا ادري انه ليس لي أصدقاء حقيقيون . انظر يابوريان لنوع النساء يبكين فهذا أمر يبنيهن أما أنا فلا شيء يجعل فؤادي يرق)

وكان في علاقاته مع الهيئة الاجتماعية يحب التحرش بالناس فاهاناته . وقوارص كلمه . مدبرة بتصميم سابق . واذا أراد إظهار استياءه من أحد يشجعه حضور الشهود على ذلك . فيوجه اليه كلاما قاسيا حادا . على أن سورات الغضب هذه لا تحدث الا حين يتحقق من جرم الموجه اليه كلامه . وقد قال لاصدقائه وهو في جزيرة القديسه هيلانه : انه لم يكن يدعو شخصا ثالثا للحضور الا ليجعل

لتلك الضربة مدى بعيداً

وفي أثناء المدة التي قضيتها معه لاحظت انه لم يحب الاختلاء وكان حين ينتظر أحداً يقول لي ﴿ اق هنا يا بوران ﴾ وكان ينظر الي رجال الثورة المشهورين بسفك الدماء بعين الاحتقار

هذا ما كتبه بوريان الذي انتخب بعد سقوط الامبراطوريه عضوا في مجلس النواب ثم عين كاتبا لمسيو دي فيلال رئيس الوزارة في عهد الملك لويس الثامن عشر . وفي عام ١٨٢٨ ساقته الاقدار الى بروكسل عاصمة بلجيكا وجيبه فارغ والديون متراكمه عليه ففكر في الانتحار وقد بلغ ٥٩ من عمره ولكنه ساوم المسيو لوفوكا أن يبيعه مذكراته عن نابليون بستين ألف من الفرنكات . وطبعت هذه المذكرات لاول مره عام ١٨٢٩ وكان الاقبال عليها عظيما واكتسب ناشرها مالا يقل عن مليون من الفرنكات .

نابليون مع اسرته

آراء اخري في أخلاقه

كان نابليون أيام توليته القنصلية الاولى يجد لذة كبيرة في المقام بين عشيرته وذويه . فبعد أن انتهت الحملة الايطالية بعقد صلح « كامبو فورميو » سافر الى مسقط رأسه وعاش عيشة عيلية يحيط به أمه واخوته واخواته ومعهم أوجين بن جوزفين الذى جعله باوره الخاص

واليك ماقاله مارمون يصف فتره مقامه هذه مما ثبت لك حقيقتها

« كان يظهر نابليون كل أنواع السرور والانبساط : فمن طلاقه . الى بساطة في المائدة الى معاملة خالية من كل تكلف بل كان يمزح كثيراً في احتشام وغير مرارة

وقال أرنوك « كان نابليون إذ رأى الحديث مائلا الى السكون . حركه بالاقاصيص والحكايات المختلفة الغريبة فى تلفيقها »

ولم يكن نابليون ليتطلب المبالغة في اكرامه واحترامه ويستقبل الناس على وجه لم يألفوه كما انتقد عليه بعض المؤرخين . فيدحض قولهم - انه زوج اخته بولين الى ابن تاجر دقيق وعقد لأليزا على ضابط صغير بالجيش الفرنسي فلم يكن نابليون وقتئذ يحلم بالتيجان بل كان صاحب علم منصور تتحدث عنه الدنيا . بل كان قائد جيش كبير يحتاج الى احترام الناس . بل كان فوق ذلك ممثل دولة عظيمة الشأن . ألم يكن منصب نابليون في ذلك الحين يقتضى احترام الناس له وتقديرهم إياه . !

اعتلى عرش الامبراطوريه فازداد حبه لامه واخوته واخواته . ولكن زاد ضعف ارادته وتسامحه أيام حبه لجورفين ومن تفانيه في ارضاء مارى لويز لحملها على حبه . كما أنه تنزه عن الضغينه والحقد على أناس من الذين اساءوا اليه . قبل صعوده الى قمة شاهقه من العز والمجد .

قال كثيرون من المتحاملين على نابليون وفي جملتهم العالمتين (كان نابليون خشن الطبع فظ الخلق لم يذق

المقربون اليه شيئا من حلاوة اللسان وطيب المعاشرة)

وقال البرون في تاريخ اوربا « انه لما أبلغ اللورد وبتورث سفير انكلترا نابليون ان حكومته تعد معاهدة اميان باطلة غضب غضبا شديدا وخرج عن صوابه . الى حد ان رفع يده ليضرب السفير »

فتناول الناس هذا الخبر دليلا على شراسة طبع نابليون وتلقفه الخلف عن السلف من المؤرخين . وبعد تسعين سنة خطر للمستر اوبيكار برون ان يراجع مستندات الحكومة البريطانية وينظر في قيمة تلك التهمة فانتهى به البحث والتدقيق الى تقرير الحقيقة الآتية :

﴿ ان ماقيل عار عن الصحة . وان تلغرافات السفير الانجليزي نفسه تدل على بطلانه ﴾ فسقط من ذلك الحين كل مابناه خصوم نابليون من المطاعن والمثالب على ذلك الخبر الملفق .

والواقع ان معاملة نابليون لامه واخوته حتى كان يحرم نفسه من الجلوس في القهوة ليتمكن من اعانتهم . ثم احتفاظه

بصداقة الذين عرفهم أيام الصبا مثل بورين وچونو ومارمون وغيرهم من الذين عينهم في وظائف مختلفة ونهض بهم في مدارج الرقي . كل ذلك يبطل مازعمه الخصوم .

ولو كان نابليون متصفا بالطبع الوحشى كما زعم خصومه . ومشهوراً بمثل هذا العيب الفاضح لما رضى امبراطور النمسا أن يزف اليه ابنته . فان الغرض السياسي الذى كان يرمى اليه الامبراطور فرنسوا لم يكن وحده كافيا للتضحية بابنته وما كان العيب الاكبر الذي رمى به هذا الامبراطور التجرد من العواطف البشرية والحنو الابوى . أو كان الضعف السياسي الذى جعل الامبراطور النمساوى دجينة في يد وزيره مترنيخ . فمهما يكن من أمر ضعفه فهو لا يذهب بالحنان الابوى وزد على هذا كله ان الرسائل التي بعثت بها مارى لويزا تكفي للدلالة على انها كانت تلقي خير ما تلقاه الزوجة من زوجها .

وكان نابليون يعد الحسنات من الاعمال الخالدة كالانتصارات والاصلاحات فلم يعتقد بخلود اللقب . فقد قال

حين نفي الى جزيرة البا عن الملوك الذين سموه (بالمغتصب)

« يلقبني نفر من الملوك وذووا التيجان اليوم بالمغتصب بعد أن ارسلوا ممثلي دولهم إلى مع الاجلال والاحترام . وبعد أن وضعوا في سريري ابنة منهم . وبعد أن دعوني أخا لهم فهم أرادوا ان يبصقوا علي فبصقوا على وجوههم . الا ماهي قيمة لقب (امبراطور) ! اذا لم يكن بجانب هذا اللقب تلك النظامات التي وضعتها والانتصارات التي أحرزتها والمعاهد التي شيدتها . تلك هي القاب المجد الحقيقية .

واذا رجعنا الى أقوال المعاصرين له وجدنا فيها براهين دامغه علي تحامل خصومه فقال شاتوبريان .

« غشيني بونابرت بمظهر بسيط ثم أخذ بلا توطئه ولا أسئلة عقيمة يحدثني عن مصر والعرب وكانني صديق حميم . وكانما حديثنا كان تتمة لحديث سابق

وقيل في (مذكرات باريس) ان نابليون كان يبتسم لمحدثيه ابتسامة لطيفه تجعل ثغره مستحبا جداً وتبعث الثقة في نفس السامع . فقد اقترب مني يوما بمنتهي اللطف وأخذ

يحدثني عن مسارح التمثيل بلا تكلف . وهو يفضل الروايات (التراچيديا)

وقال لومبار الذي كان مستشاراً خاصا لملك بروسيا سنة ١٨٠٣ .

« ان الاجانب مخطئون بقولهم إن طبع نابليون شديد فظ . وانه متسرع فى أحكامه »

وكان من أخلاق نابليون ماذ كره المسيو دي سيجو الذي عاش علي مقربة منه وعرف كنه حياته قال « انه كان يصنع الخير مع الافراد الذين أخنى عليهم الدهر ويظهر اللطف والرقه ويتبع سبيل الاقتصاد والبساطة فى بيته . ولا يحرم الذين كانوا حوله من وده وحبه »

وكان لروح السلطة سلطان على طبيعة نابليون . تلك ظهرت من استقصائه عن كل صغيرة أو كبيرة . وكان محبا لنفسه طماعا حتي فى لعب الورق فيبذل عنايته وجهده ولو بالطرق الغير مشروعه الى الكسب . وبلغ من تدخله وتسلطه أنه كان يختلي بسيده من سيدات البلاط أو احدي

معارفه فيدبر لها مصاريفها المنزلية أو نفقات الخيل التي تملكها .

صارح نابليون كل أصناف وطبقات الرجال والسيدات الا أننا لا يمكننا أن نعتبره مثلا للصدق أو حسن الذوق . فقد ذكر ان للكذب والتحايل من فوائد أحيانا فيظهر ذلك فى قوله ﴿ نقول أن فلانا كذوب . وليس من الضرر أن يكذب أحيانا . بل من الضرر أن يكذب دائما ﴾

ولم يكن نابليون قادراً على حبس عاطفته دواما . فقد كان يأتى بما يأنيه كل شخص ليس أعلا أو احط من المستويات المعتادة فى عصره الا انه لم يكن لسلطان المرأة عليه أثر يضر بمصالح البلاد أو يدفعه الى تهاونه بما فيه خير مواطنيه .

وكان من ضروريات ذوقه فى الجمال أن يكون الشيء عظيما فقد كان قلبه يتهيج مثلا لهدير الامواج أو لجمال الاماكن ذات الاتساع العظيم . ولم يكن ميالا بطبيعته للخيال أو الطرب أو خفة الروح او الفنون أو الموسيقى . قال في ذلك

الصدد ﴿ ان حسن الاسلوب أو ردائته لا تؤثر فى ! إني لا أتأثر الا بقوه الفكر ﴾

وكان يشعر دائما ان الوقت من ذهب حتى فى الاوقات التى كان فيها خلوا من العمل فكان احرص ما يكون علي الوقت والمال حتي انه وصف ﴿ بالبخل ﴾ في وقته ﴿ والاحتقار ﴾ لانواع المسرات.

الفصل الثامن

الدين في نظر نابليون

لم يعتبر نابليون الراى القائل بأن الدين قوة دنيوية زائلة بل اعتقد انه (سر النظام الاجتماعى) وأن الناس عند الله سواء فشعر بحاجته الى تقديس الآراء الدينية : فهى مادة مهمة في النظم العامة للتهذيب. وهى الحائلة بين الشعوذة والالحاد وهى المدربه على حسن التفاهم والطاعة .

رأى تسيطر القوي الروحيـة على نفوس الفـلاحين وجنود الجيش. فاعتقد الفلاح الايطالى فى الايمان بالقديسين والمعجزات. وشفاعة السيده العذراء عند الله .فأراد نابليون أن يستميل الشعب باحترامه لتلك القوي فأبدى كثيراً من آرائه في الدين وتقديسه لنظرياته كسياسي محنك لا يبغي إلا محبة الشعب وخضوعه له .

وبينما كان يتنزه نابليون مع أحد اعضاء مجلس الدولة خاطبه في شأن الدين فقال (كنت اسير مثل هذا اليوم في

تلك البقعة منفرداً والطبيعة هادئة فطرقت أذنى صلصلة ناقوس احدى الكنائس المجاوره . فحركت شجنى وراعنى هذا الصوت وقد يكون لهذا الصوت من روعة أشد وأحلى لدى المتدينين . ينبغى ان يكون الناس على دين تفرضه الحكومة .. حتي يجري الجميع وراء مصلحة واحدة)

وقال ايضا (زعم بعض المواطنين والاجانب أنى اعتنق الكاثوليكية ولكنى لست أدين بها حقيقة فلما كنت وما زلت اجرى لمصلحة الامة رأيت أن أكون مسلما في مصر وسأكون كاثوليكيا هنا.

ونستنتخ من آراء نابليون الدينية اعتقاداته الآتية

(١) عدم التقيد والاتباع لدين واحد (٢) اعتقد فقط بفكرة وجود الاله فهو الذى خلق كل الاشياء (٣) الدين عنده هو سر النظام الاجتماعى (٤) ان رجل الدين هو الذى يعمل بقوة تأثيره على رسوخ قدم النظام الاجتماعى فيثبت روح الطاعة فى النفوس ويحمل الناس الى التكاتف والاتحاد ولا يعمل علي فكرة التحزب التي تقسم الناس شيعاً.

الفصل التاسع

نابليون في ميادين الحرب

ولنسرد الآن جملة المعارك والانتصارات التي خلدت ذكري البطل القرشقى . تلك التى كانت تشغل باله أيام بعثه بتلك الكتب الغرامية . ونظر في أموره العائلية .

الحملة الايطالية : قال القائد (كلود برچيه) مامعناه :

« لما توجه نابليون الى إيطاليا لاستلام القيادة من الجنرال القائم بهاهناك . كانت فرنسا مهددة بأحوالها الخارجية فمن انجلترا التي اعتصمت في جزرها الى النمسا التي كانت تتحين الفرص للاخذ بثأرها مما دعا القواد والجنود النمسويين الى الى القول (بأن ايطاليا ستكون قبرا للجنود الفرنسية)

هذا فضلا عن حالة ضباط وجنود الجيش الفرنسى تلك التى كان يرثى لها . وقد صادف ان فرقة من فرق الجيش الفرنسي قاربت ميلان فدعى أحد ضباطها الى وليمة أقامها مركيز فى قصره وكم كان مؤثراً أن ترى الضابط (الذى اشتهر بالتأنق

فى ملبسه) يلبس حذاء غير منتعلة وقد ربطت بأحبال صبغت بعنايه .

فلما وصل نابليون الى مدينة نيس حيث كان معسكر الجيش العام رأى فيه من القواد العظام أوجيرو ولاهارب وماسينا وكلهم من الذين قادوا الجحافل وخاضوا العجاج فجعلوا ينظرون الي الجنرال الضئيل النحيل الجسم الذى قدم ليتولي القيادة العامة .

شاب صغير يقود أكبر منه سنا من قواد عظام طالما خاضوا غمار الحروب لا يكون تعيينه الا نتيجة المحاباة حقيقة ذلك ولكن لهذا القائد الصغير النحيل من المميزات مالم تتوفر في سواه .

قال لاڤاليت يصف نابليون وقت وصوله الى مركز الجيش « بدالنا ضعيفا نحيلا . ولكن له نظرة يتطاير منها الشرر وقد تلعثم لسانى من شدة خوفى عند ماأراد مخاطبتي »

وقال آخر « كان يتكلم بتؤدة ووقار وروية حتى أقنع كل من سمعه بأنه جدير بقيادة الابطال . وكانت الامة المتأججة

فيها الحماسة التى أثارتها فيها حب نصرة الشعوب مستعدة للسير وراء قائد مثله . له عزيمة ماضية . وارادة حديديه ومهارة في فن الحرب وأسراره . إلى فصاحة وقوة خيال وحب للصيت وقدرة على مس أوتار القلوب ببضع كلمات فى بلاغ أو نشرة حربية »

كان عدد الجيش الفرنسي لا يتجاوز ستة وثلاثين ألف رجل . وكانت ملابسه قديمة ورواتبه متأخره . فى حين أن الجنود النمساوية وحلفاءها أبناء بيدمونت كانوا ٨٤ ألفا مسلحين بثلاث مائة مدفع وعلى أتم أهبه وأكمل استعداد : فكان كل جندى فرنسى مضطراً الي مقاومة ثلاثة من الاعداء

رأى نابليون أن أحسن طريقة يسلكها في هذا المركز الجديد استعمال الشدة ومراقبة تنفيذ اوامره بدقة تامة . فقال « رأيت أن هناك ضرورة لاستعمال القسوة كى أسوس رجالا لا يفوقونني الا في كبر سنهم » . فسرعان ما ناقش قواده في مراكز فرقهم . ورسم لهم الخطط التي يسيرون عليها . واعلن في نفس اليوم قيامه في الغد باستعراض الجيش . ومهاجمته

العدو فى اليوم التالي بعده .

ففي عام ١٧٩٣ تحالفت دول أوروبا ضدفرنسا . فأخذت لجنة الامن العام تدفع الخطر عن البلاد بمهاجمتها البلجيك وهولندا وقد احتلتهما . وبخروج روسيا من بين دول اوربا المتحالفة لم يبق سوى انجلترا والنمساوسردينيا . فبدأت حكومة الادارة في فرنسا بتوجيه ضرباتها الى النمسا بأرسال حملة عن طريق ايطاليا فسمت الى قسمين فالقسم الاول يسير عن طريق الطونة الى ڤينا والثانى (وقد وكل الي نابليون) يسير عن طريق شمال ايطاليا ومنها الي ڤينا.

خطت جنود نابليون الخطوة الاولى بنجاح فتمكن نابليون بدهائه من حمل (ليبوليو) القائد النمساوى الي الاعتقاد بأنه سيسير تجاه جنوا . وسرعان ماسارت الجنود النمساويه على الطريق المزعوم بمجرد وصول الاشاعة اليهم غير أن نابليون لم يسر فى هذا الاتجاه . بل جمع قواته وانقض على الجيش النمساوى فى (مونت نوت) في ١٢ ابريل وسحقهم سحقا . فشتت الجناحين يميناً ويساراً وكسر القلب

وفى ١٤ ابريل قهرمرة نمساوية فى (ميلاسيمو) وأخرى فى (دجو) ورابعة بجانب (ديجو).

وفى ٢٢ ابريل وجه ضرباته نحو حلفاء النمساويين من السردينيين فهزمهم في (موندوفي)

رأى الجنرال نابليون أن يثير الحماس في قلوب الفرنسيين فجمع قواده وجنوده وخاطبهم قائلا

« أيها الجنود ..

في خمسة عشر يوما ربحتم ست مواقع. وأخذتم ٢١ علما واستوليتم على ٥٥ مدفعا وخذلتم أحسن جزء فى بيد منت وأسرتم ١٥٠٠ أسير وجرحتم ١٠٫٠٠٠ رجل.

كسبتم المعارك بدون مدافع. وعبرتم الانهار بلا جسور. وقطعتم المسافات القصية حفاة. عملتم كل ذلك وماغذيتم بالغذاء الكافى. فبالله انكم لمستحقون شكر وطنكم.

فالجيشان اللذان حاربا كما بأمل ردا بيأس. ولكن تيقنوا أنكم لم تأتوا بشىء مادامت ميلان وتورين فى أيدى غيركم

جلى لكم ولى اننا قهرنا الجزء الهام ولكن لا نفخر الفخر كله الا بعد أن نقهر مابقي من البلدان . ونعبر ما بقي من الانهار

حركت كلمات نابليون قلوب الجند فما انتهى من كلامه حتي تفتحت له قلوب القواد والجنود قبل فتح تلك السهول والمدن وكان من ضرباته المتلاحقة التي عاجل بها السردينيين أن تخلوا له عن كل ممرات الالب مع تنازلهم في ابريل سنة ١٧٩٦ عن نيس وسافوى وانقضوا على الاثر عن محالفة النمساويين

ويرجع الفضل في احراز هذا النصر لما آتاه نابليون من العجب العجاب (فقسم) الجيش الى قسمين حتي يستطيع أن يهاجم كل فريق على حدة ونذكر فى هذا الظرف الكولونل رامبون ورجاله لصدهم حملات النمسويين المرة بعد الأخرى وهم ثابتون حتي النهاية إذ أقسم وجنوده أفضلية الموت على ترك الحصن

ثم هزم جنود بيدمون فاجهز عليها أحد قواده فتقهقر

قائدهم تاركا بين ايدى الفرنسيين ٣٠٠٠ أسير و ٢١ مدفعاً فبلغ عدد الاسري ١٢٠٠٠ أسير و ٥٢ مدفعا واحدي وعشرين علما كلها غنائم للجيش الفرنسى

رأى ملك سردينيا أن خير وسيلة يأمن بها شر نابليون عقد الهدنه معه على شرط أن يمد الاول جيش الثانى بالمؤن والحصون فقبل نابليون إذ كان في حاجة شديدة لتلك المؤن

وفي تلك الاثناء أرسل نابليون مورات الى باريس ليحمل الى حكومة الدير كتوار الاحدي والعشرين علما التي غنمها من النمسويين والتى من اجلها لقب الجمهور الباريسى چوزفين (بسيدة النصر) فعقد الدير كتوار حفلة عظيمة وقرر أن جيش ايطاليا استحق شكر الوطن ثم اقيمت حفلة النصر في العاصمة

عبر نابليون نهر البو فارتد النمساويون الى الوراء. فواصل نابليون الزحف ورائهم حتي تلاحم بهم عند جسر (لودى) فاضطر القائد النمساوي على التقهقر الى ماوراء نهر (المانشيو) فتوغل نابليون في سهل (لومباردى) ودخل ميلان منصوراً

ولم يلبث الارشيدوق النمساوي ان فر منها هاربا . أما دوقي (بارم) و(مودين) فقدما اليه الطاعة وغادرها نابليون بعد أن فرض عليها جزية قدرها عشرون مليون فرنك .

وفي فبراير سنة ١٧٩٧ تمكن نابليون من الاستيلاء على (منتوا) وقد كانت محصنة تحصينا شديداً أو معتبرة من المعاقل المهمة . اذ كانت مفتاحا للتيرول. فدافع النمساويون دفاع المستميت وأرسلوا الحملة بعد الاخرى لصد هجمات الفرنسيين ولكن عبثا حاولوا . فتمكن نابليون وجنده من سحق تلك القوات في عدة مواقع أهمها (اركولا) (وريفولي)

أخذت انكلترا تدبر المكائد لاثارة فلاحي لمبارديا على الفرنسيين ولكن نابليون لم يكن بالرجل الذى يغلب على امره فاحتاط لاحباط المؤامرة واتخذ أشد الذرائع لافسادها وأحرق منازل مدينة (باڤي) ماعدا عدة منازل تخص أكابر العلماء .

قال بعض الكتاب في هذا الشأن « كان لعمل نابليون

تأثير جميل في نفوس محبي العلم والعلماء . فنقض كلمة ذاك الثائر الوحشي الذى قال للعالم لافوازييه حين ساقه الي الاعدام من ان الجمهورية غير محتاجة الي العلماء »

ولما انتهي نابليون من ضرباته هـذه ولي وجهه شطر البابا الذي انضم الي المتحالفين ضد نابليون . فكلف القائد اوجرو بأن يكتسح املاكه وفرض عليه ضريبة قدرها واحداً وعشرين مليون فرنك . ثم احتل جزءاً كبيراً من بلاد التيرول . وقهر النمساويين مرة ثالثة . فأعيتهم الحيله . ولـكنهم أصروا على عنادهم فأرسلوا جيشا رابعا انضم الي الثلاثة الجيوش الاخري .

أراد نابليون أن يرسم خطة ينقذ بها جيشه من الهلاك والوقوع فى أيدي الجيش المعادي له وقد أخذ التعب من القواد والجنود مأخذه . وخسر خسارة ليست بقليلة . بعد تلك المواقع المتتالية .

كانت تلك الحيلة التى قام بها نابليون حتى أدخل الرعب في قلب قائد الجيش النمساوي (النزى) فأرغمه على التقهقر .

ان أمر الجند باجتياز نهر (الاديج) والسير تجاه (ميلان) . اعتقد (النزى) ان جيش الفرنسيين يتقهقر ولكن لما رأي قائد الجيش النمساوي أن نابليون يحتل كل مايقابله في طريقه هجم بجيشه الذي بلغ أضعاف جيش الفرنسيين واشتدت نيرانه الي حد هائل . فسدت الطريق أمام الفرنسيين ورأوا انه من الصعب محاولة اجتياز جسر (اركولا)

غير أن نابليون قدح زناد فكره ساعة الشدة ولم يستول عليه اليأس وقال لقواده العظام (الظفر أو الموت) وتقدم مسينا واوجرو من كبار القواد وصرخ فيهم قائلا « السلم المنتصرين في موقعة لودي . الا فاتبعونني »

كانت موقعة (اركولا) شديدة الوطأة على الفرنسيين فيمكننا أن نقول انه لولا صدفة غريبة وحظ صادف نابليون لهلك تحت حوافر الخيل واعتبرت تلك الموقعة خاتمة حياته عظم على الفرنسيسيين في المبديء صد هجمات النمساوين ومقاومتهم . وسقط كثير من القواد الفرنسيين على الارض ونابليون من بينهم وقد سقط في مستنقع فأنقذه بعض الجنود

بعد النصب والجهد الشديد .

وفي اليوم التالي بذل نابليون وجنوده جهداً عظيما . فعبروا النهر على جسر وقتى . وبينما كان النصر يتراوح بين الفريقين بدت لنابليون فكرة اخرى سديدة . وهي انه أمر ضابطا في رتبة ملازم وثلاثين جنديا بأن يأخذوا طبلا ويتقدموا نحو العدو ضاربين على الطبول بمنتهي الشدة فما تعالت أصوات الطبول حتى ظن النمسويون ان نابليون انقض عليهم بجيش آخر من ورائهم فلم يروا من وسيلة الا طلب النجاة .

خرج نابليون من هذه المعركة ظافراً . وأنشأ ولايتين في شمالي ايطاليا وهما (سيبادان) و (ترانسبادان) . ودخل ڤينا واضطر الحكومة النمساوية الي عقد الصلح والاعتراف بضم البلدان التى كانت الحكومة الفرنسيه ترجوها من الحملة ثم عقد صلح (كامبو فورميو) في ١٧ أكتوبر ١٧٩٧ وبه (١) تنازلت النمسا عن أملاكها في ايطاليا (٢) تنازل نابليون للنمسا عن جزء من أملاك ليست لها بفرنسا علاقة البتة

وهي البندقية . (٣) تنازلت النمسا عن البلاد الواطئة واعترفت بالجمهوريات الجديدة التى كونها نابليون في شمال ايطاليا (٤) أخذت فرنسا جزائر الايونيان ودلماشيا وشاطيء الرين الايسر .

واليك الطرق التى سلكها نابليون في رسم خطط الهجوم أثناء الحملة الايطالية . وكانت سببا في نجاحه . ومن اجلها اعتبرت حروب نابليون في ايطاليا نموذجا من نماذج الحرب .

( ) اتبع الطرق الجديده . والقواعد الحديثة . التى ذكرت في مؤلفات الكتاب الحربيين امثال (جريبو فال) (وجيبير) .

(ا) فعمل بطريقة النظام المزودج أثناء الهجوم . وكثيرا ما ساعدته تلك الطريقة في تطويقه العدو في أي بقعة من بقع ميدان القتال .

(ب) اقتبس طرق التعبئه - وتدريب الجند وفنون الحرب من دراسته الاولي في مدرستى برين وباريس

(٢) خصص نفسه بتوزيع الفرق علي الميدان فقصر (الخطط العامة) عليه وترك (الخطط الفرعية) ليقوم بها الضباط العظام . ففضل تجزئة الجيش عن الهجوم به وهو كتلة واحدة .

(٣) تصويب المدافع نحو نقط الضعف في الجيش المعادي والبداية بمهاجمتها

هذا وتعتبر الحملة الايطالية فاتحة حروب نابليون المجيدة إذ خرج الجيش الفرنسي منها منصوراً فأحرزت فرنسا على يديه النصر المبين والفوز العظيم

الفصل العاشر

نابليون في مصر

أراد نابليون من اعداده الحملة المصرية . أن يتوصل إلي الهند فيغزوها وأن يؤيد نفوذ فرنسا في البحر الابيض المتوسط وأن ينتقم لفرنسا من انجلترا التى اعتصمت في جزرها وزادت في معاداتها لفرنسا وأخذت تبث فيها الفتن .

كانت انجلترا على جانب عظيم من الثروة والقوة البحرية لاتساع مستعمراتها . وكثرة خيراتها . وأخذت العلاقات تتوتر بينها وبين فرنسا حتى اتجهت انظار الاخيرة عام ١٧٩٧ إلي غزو مصر لتحويل تجارة الهند إلي طريق البحر الاحمر لاعن طريق رأس الرجاء الصالح . وبذا تخسر انجلترا الخسائر الفادحة فتهدم سيادتها البحرية

تلك هي الاسباب المباشرة التى حملت فرنسا إلي القيام باعداد حملة لغزو مصر . أما الاسباب الغير المباشرة فهي

(١) لم يكن نابليون يبلغ الاربعين من سنه فلم يصلح للعضوية

في حكومة الادارة فرأي في القيام بحملة كالحملة المصرية خلاصه من المشاغب السياسية التى شغلت بال فرنسا .

(٢) أراد أن ينسج على منوال الاسكندر الاكبر بطمعه في الحصول على شهرة وذكري تماثله فرأي أن يوجه نظره نحو الشرق إذ اعتبره أنه المجال الواسع لنيل الشهرة الخالدة

(٣) تخيل نابليون أنه بمجرد فتحه لمصر كان سهلا عليه فتح مايجاور مصر من تونس ومكة وبلاد فارس وبلاد العرب والعجم حتى ضفاف نهر الكنج .

غير أن فكرة استيلاء فرنسا على مصر لم تكن بنت سنة أوعدة سنين بل ترجع إلي الوقت الذى بدأت انجلترا وفرنسا تتناضلان والواحدة منهما تتحفز للاخري وتتحين لها الفرص للايقاع بها . ويرجع ذلك إلي الوقت الذي تناصبت فيه الدولتان العداء . للتنافس على السيطرة علي بلاد الهند . ولما وجدت فرنسا الفرصة سانحة أومأت الي الجنرال بونابرت في ابريل ١٧٩٨ باعداد الحملة لغزو مصر

وفي أوائل مايو من تلك السنة تم استعداد الحملة وفي ٤

مايو برح نابليون باريس ومعه جوزفين . وفي ٨ مايو وصل الي طولون . وفي ١٩ مايو ابحر نابليون علي البارجة (أوريان) بعد أن ودع جوزفين وداعا مؤثراً . وقد عرضت عليه أن تسافر معه تلطفا ومجاملة . فأبى أن يستصحبها في هذا السفر المحفوف بالمخاطر .

خرج نابليون في جماعة من مهرة القواد والعلماء ورجال الفن والمهندسين وكان (برتييه) رئيس أركان الحرب ومن بين القواد (كليبر) و (لان) . واستصحب أيضا نفراً من الرياضيين . وعلماء طبقات الارض والاثريين والكيمائيين . وغير ذلك مما يدل علي اهتمام القائد العام بالامور المدنية وعلى رغبته في أن يكون فتح أرض الفراعنة مخالفا للفتوح العادية . فاراد أن يدرس الشرق وشرائعه وعاداته وفنونه ومصنوعاته ومزروعاته ودياناته .

وفي ١٣ يونيو وصل نابليون الي جزيرة مالطه واستولي عليها بعد نضال عظيم . فاستولي على حصن (ثالثا) في نفس اليوم ويعتبر من الحصون المنيعه في العالم . وبمجرد استيلاء

نابليون علي تلك الجزيرة واصل الاسطول الفرنسي السير الي مياة الاسكندرية وهناك نزلت الجنود الفرنسية الي البر دون أن تلقي أدنى مقاومة

نزلت الجنود الفرنسية في فصل الصيف . فتفشت أمراض العيون بينهم ولكنهم واصلو السير تجاه دمنهور وحالما علم مراد بك بتقدم نابليون ذهب لملاقاته هو وجيشه عند شبراخيت . ولكنه رجع بخفي حنين.

رأي مراد بك أن يتقهقر نحو القاهرة حتى يقابل نابليون علي أهبة فيصده . وظل نابليون سائراً حتى وصل الي قرية امبابه في ٢٠ يوليو وفي هذه الليله بات نابليون في جزيرة الروضة .

وحينئذ تلاقي نابليون بجيش المماليك وانتصر عليهم في موقعة الاهرام بعد أن حرك مطامع جنوده وصاح فيهم قائلا « أيها الجنود . ان أربعين قرنا تنظر اليكم من قمة هذه الاهرام .»

وفي ٢٧ يوليو دخلت الجنود الفرنسية من باب النصر

وفي الثامن والعشرين من يوليو امتلأت القاهرة بالجنود الفرنسية . فر مراد الي مصر العليا . وابراهيم بك الي مصر السفلي . واذ ذاك علم الاميرال نلسون فوصل في أول اغسطس وحطم الاسطول الفرنسي في خليج أبى قير .

ولقد خابت آمال الجنود الفرنسية في مصر . فبعد أن كانوا يمنون أنفسهم بقصور من الرخام . وجدوا أكواما من الطين . وبعد أن تمنوا الانبذة المعتقة لم يجدوا حيالهم سوي ماء آسن . ولقد كان ينكل بهم تنكيلا شديداً ويقتلون شر قتله كلما نأوا عن معسكرهم كل ذلك كان مدعاة لتأجج نار العصيان في أفئدتهم . الا أن نابليون تلقي أخيراً الكارثة في القاهرة بكل هدوء وسكينة فجمع ضباطه حوله وخطب فيهم قائلا « إن بلادا كمصر ذات مجد تليد . وعز غابر مجيد . لتحاول أن تسترد ما كان لها من مجد بفضل ما وصلت اليه العلوم والصناعات من تقدم ورواج » ولقد أشار نابليون اذ ذاك الي الموارد الكافية في مصر المفعمة بالخير . والتى لاتزال مفتقرة الي مستثمر حكيم . ثم ذكر مناعة مركزهم

في مصر قائلا « ان ليس لها حدود ثابتة . وان ساحلها منخفض من جهة اخري. ثم أوصاهم أن يحافظوا علي وحدة الجيش وحضهم علي فعل مايرفع من شأنهم وختم حديثه بعبارات تدل علي حصافة عقله وزلاقة لسانه . فقال « ان علينا أن نرفع رؤوسنا فوق طوفان الحوادث الجلي التى تحيط بنا وتغمرنا وواجبنا يدفعنا أن نجعلها مركبا ذلولا وليس ببعيد أن يكون القضاء والقدر قد كتب لنا أن نغير خريطة الشرق وأن تنقش اسماؤنا بجوار اسماء الألي ازدان بهم جبين التاريخ في العصور القديمة والقرون الوسطي »

أراد نابليون الزحف على الشام لامور شتى منها سهولة فتحها لما بها من قلاقل ولرغبته في تقويته الحدود المصرية الشرقية ولسلب انجلترا قاعدة بحريه ولتمهيد الطريق للزحف على آسيا الصغرى وتركية أوربا . وفوق كل هذا سيقف نابليون للمرة الثالثة موقف المصلح الكبير فيتقدم لانقاذ الشام من حكم الطاغية الجزار كما أنقذ ايطاليا من النمسا وكما أنقذ مصر من قبضة المماليك

سارت الحملة السورية تحت شمس محرقة وتراها يهددها الظمأ والجوع وانتشار الطاعون وانتهت الحملة بهزيمته عند أسوار مدينة صغيرة ولولا ذلك لاكتسح نابليون في أول الامر بجيشه الصغير كل ماعترض طريقه فاخذ العريش واستولي علي يافا ثم سار الي عكا مقر الجزار وطوقها بالحصار في ١٩ مارس سنة ١٧٩٩ وكان السير سدنى سميث والمسبب لهزيمة نابليون قد تمكن من ذلك بفضل المقدرة العلمية التى امتاز بها المهندس الفرنسي (بيكاردي فلبو) من حزب الملكيين الناقمين على الثورة . وفي ٢٠ مارس رفع الحصار عن عكاء لتفشي الطاعون في المعسكر الفرنسي ولقرب نفاذ المؤن والذخائر لهذه الاسباب ولارسال حملة تركية فأسرع نابليون بترك الشام راجعاً لمصر

وكان انتصار الفرنسيين على الاتراك عند أبى قير في ٢٥ أغسطس عظيما ولاعجب اذ محا انتصار أبى قير عار هزيمة عكا. ويعزى هذا الانتصار الي حسن القيادة والاقدام والمعدات والعزم الصادق

وقبل تلك الموقعة بنحو من شهرين عزم نابليون على مبارحة مصر خفية لانباء سمعها . تنبيء عن سوء حالة بلاده فأسرع للزود عن حياضها يختلج فؤاده بشيء من المطامع الشخصية . لذلك أقلع نابليون ليلة ٢٢ أغسطس ورفقته منج وسبعة ضباط من أقدر رجاله

النتائج : كانت النتيجة من الوجهة الحربيه هي فشل الحملة تماما

أما من الوجهة العلميه فقد نجحت الحملة وأسفرت عن فوز مبين فأوجدت في مصر الجامعة المصرية التى قسمت الي خمس أقسام غرضها دراسة مصر من حيث التربة وأسباب تفشي الامراض . وأتى نابليون الي مصر لينشر نظم الحكومات المتمدينة. وأتاح للغرب دراسة مصر دراسة علمية ولقد تكلم نابليون مخبراً عن تسييره (دنزيه) الي الوجه القبلي لتعقب المماليك « للمرة الاولي منذ الامبراطورية الرومانيه شرعت أمة كلفة بالعلوم والمعارف تبحث وتنقب عن الحزائب الفخمه التى أسرت الباب الجماعات المتنورة منذ

قرون . ولا ريب أن حجر رشيد المكتوب بثلاث لغات احداها اللغة المصرية القديمه كان السبب الاكبر في اكتشاف ماتضمنته الاثار المصريه العتيدة والمقابر الفرعونيه الرائعة ولقد وجده ضابط فرنسي وبه عرف شامبليون مفتاح اللغة الهيروغليفية ولا ريب أن كتاب وصف مصر الذى ظهر سنة ١٨٢٨ يصف ما شاهده العلماء الذين رافقوا الجيش . كان أول وصف علمي لتلك البلاد . وكانت قناة السويس من تصميم الحملة الفرنسية لتوصل البحرين الاحمر والابيض

وعلى كل فحكم الفرنسيين لم يكن خلوا من الفائدة فلقد أنقذوا مصر من حكم المماليك ومظالمهم المرهقة

ولا يخفى أنه لو نجحت الحملة في الاستيلاء على مصر لاختل التوازن الدولي اذ كان من الممكن أن يترك نابليون الاسطول الانجليزي يروح ويغدو على مقربة من الاسكندريه ويعود هو الي المانش فينقض على الشواطيء الانجليزية ويقضي على حكومتها . وكان من الممكن أيضاً أن ينتج عن فتح مصر شق قناة السويس وتحصينها وتجهيز حملة للسير الي

الهند للانضمام الي قوي المهراجا لطرد الانجليز من ممتلكاتهم في الشرق .

ولم تكن فكرة الاستيلاء على مصر وليدة حكومة الادارة . فلقد كانت فرنسا تعتبر مصر منذ عهد سان لويس وحروبه الصليبية درة الشرق الادنى. وكانوا يعلمون بضعفها وان حكومتها في أيدي المماليك الطغاة . وكان « ليبنتز » قد اقترح علي لويس الرابع عشر الاستيلاء علي وادي النيل ويعتبر « ليبنتز » هذا أشهر فلاسفة الالمان . كما كانت من فكر « شوازيل » أمهر وزراء لويس الخامس عشر . وفضلا عن كل ذلك فان فتح مصر سيكبد انجلترا متاعب شتى وقد خصص لغزو مصر وتموين الحملة ثلاثة ملايين فرنك .

ظل نابليون متتبعا ابراهيم بك فقابله في الصالحية وهزمه واستولي علي المنصورة ودمياط ثم توجه الي مصر العليا . فبعث نابليون بأحد قواده يدعي « دينزيه » للحاق بمراد بك بمصر العليا فسار بطريق النيل حتى وصل الي الاقصر ولما تم له اخضاع مصر العليا توطد ملكه في جميع انحاء مصر

وفي ٢٣ اغسطس حصلت قلاقل في القاهرة قمعها نابليون بنفسه وبعد أن قام نابليون بحملته الي الشام وعاد مخذولا لتفشي الطاعون بين جنوده رجع الي المطرية .

ثم أرسل الاتراك جنودا بجوار أبى قير نحوا من ١٨٠٠٠ جندى تحت قيادة مصطفى باشا فقهر الاتراك وظل الاسطول الفرنسي يحمي الشواطيء الفرنسية .

وبذلك ترك نابليون مصر . وسافر الي فرنسا ونصب القائد كليبر بدله ولم ينل كليبر هذا من العلم قسطاً وافراً درج من اسرة فقيرة ولم يكن سياسيا محنكا بل كان متعجرفا لا يسعه الا اصدار أوامره ورغبته في تنفيذها دون التفكير عما قد ينجم عن فعله .

كانت حالة الجنود بعد أن تركها نابليون سيئة جداً فقسمت الي شيع وأحزاب : فريق رغب في الرجوع الي فرنسا ومنهم كليبر لحبهم لنابليون ولسوء حالة البلاد وتفشي الطاعون بها وفريق رغب في البقاء

كان سدنى سميث قائداً للاسطول الانجليزي فاتفق

ويوسف باشا أن يرجع الجيش الفرنسي الي فرنسا دون أن يلحقه ضر وتسمي تلك باتفاقية العريش (٢٤ يناير سنة ١٨٠٠) وقد وافق كليبر علي الجلاء عن مصر على شريطة أن تنقل جنوده الي فرنسا على حساب انجلترا . غير أن كيت أصر على الجلاء بلا شرط مطلقاً

ولذا غضب كليبر ومزق المعاهدة في وجه الضابط الذي حملها اليه فكانت النتيجة أن اشتبكت الحرب مرة أخرى بين الفريقين وكانت سجالا وانتصر كليبر على جنود الحلفاء (الانجليز والاتراك) عند هليوبوليس في ٢٠ مارس ثم أخذ في تنظيم البلاد داخلياً كما فعل نابليون من قبل الي أن قضي عليه بطعنة مدية من يدحلبي في القاهرة يوم ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠

ولما انقضت مهمة كليبر بوفاته خلفه الجنرال (مينو) ولم يكن على شيء من مقدرة سلفه . فازدادت الحالة سوءاً على يديه وكثرت المشاغبات بين الضباط والجنود لعدم إطاعتهم أوامره . فعقب هذا الخذلان ان وافق مينو على جلاء جنوده عن مصر بصلح (أميان ١٨٠٢) وبه أعيدت

مصر الي حكم العثمانيين وبذلك فقد مكثت الحملة الفرنسية ثلاثة شهور وثلاث سنوات

جاري نابليون أثناء مقامه بمصر سلفه الاسكندر لما أتى مصر وزار معبد آمون فرأي نابليون ان الامة المصرية أمة اشتهرت بالاوهام . استمسكت بدينها . وتعلقت باسلاميتها فكان يجلس بالجامع الازهر كعالم من العلماء ينصت لشرح القوانين ويستمع للتفسير وقد مثل الخشوع والورع في جلسته وبدأ يسأل فيما تعنيه بعض المسائل الواردة في كتاب الله . وكان يدهش العلماء عند تقديسه لاسم النبي محمد كلما ذكر حتى صدق فيه اعتناق الاسلام

الفصل الحادي عشر

حروب القنصلية الاولي

ذكرنا فيما سبق شيئا عن المؤامرات والمكائد التى كانت تدبر للغدر بحياة نابليون . وقد كثرت هذه المؤامرت الي حد أن بات يخشي على حياة القنصل الاول . ولعل (مؤامرة الاوبرا) كانت أشدها خطراً . وتسمي تلك المؤامرة أيضا (بمؤامرة ٣ نيفوس) أو ٢٤ ديسمبر ١٨٠٠ — حيث خبئت قنبلة في احدي الشوارع التى سيخترقها القنصل الاول عند مروره في عربة وكم كان غريبا أن يسلم نابليون من شر تلك القنبله بأعجوبة فقد أصابت (الاوبرا) ولم تمس نابليون بسوء .

اخذ نابليون يضرب بيد حديدية . وقلب قاس علي زمرة المهيجين . وجماعة الثائرين . فأغلق كثيراً من الصحف حتى بلغت اثني عشرة صحيفة عام ١٨٠٠ في باريس واظهر احتقاره الشديد لجماعة الصحفيين والمؤلفين والمحامين فقال

عنهم « أكوام الثرثرة والثورة » ووجد الا يترك أي طبقة من طبقات الامة تعمل بحريتها .

ولكن سرعان ماتبدلت الحالة . وانقلب العسر يسرا . فأمن المسافر . وسلم الفلاح والصانع وباتوا جميعا بلاخوف . ورقص الشعب في الحقول طربا وغنوا أناشيدهم كما سبق غنوها قبل الثورة . حتى قال « ريچنولت دي سانت چان دي انجلى » يصف حالة فرنسا وقتئذ « ليست فرنسا في حاجة تطلبها من الآله اللهم الا الشمس والمطر وخصوبة الارض »

ولما رأى نابليون أن النظام قد استتب داخل البلاد وجه همه الي الحرب مع انجلترا والنمسا اللتان اخذتا تناصبانه العداء .

لم تكن معاهدة (أميان ١٨٠٢) ذات حل حاسم . فان نابليون مارضي بشروط تلك المعاهدة . الا ليخلص من المأزق الحرج الذي وقع فيه اذ ذاك . وأخذ يتحين الفرص حتى اذا سنحت له نقض المعاهدة وعمل على الايقاع بانجلترا ومن جهة اخرى خشيت انجلترا اتساع ملك نابليون ومد

نفوذه على القارة الاوروبية مما أصبح يهدد انجلترا . فشمال ايطاليا وسويسرا . وهولندا وپارما والبا كانت كلها تحت حمايته .

كانت النمسا حليفة لانجلترا فرأي نابليون أن يباغت الجيوش النمساوية أولا . فسار عن طريق سويسرا واجتاز جبال الالب وانقض على الجيوش النمساوية وهزمها في موقعة « مارنجو » يونيو ١٨٠٠ . ثم أخذ يطارد النمساويين والنصر حليفه في عدة وقائع انتهت بهزيمتهم في موقعة « هوهنلندن » ديسمبر ١٨٠٠ .

وجد الامبراطور النمساوي أن خير وسيلة يأمن بها شر نابليون وجنوده عرض الصلح عليه ولم يتردد نابليون في قبول صلح « لونيفيل » فبراير عام ١٨٠١

وشروطه هي : —

(١) استولي نابليون علي الجمهوريات الثلاث التى أنشأها في هولندا وسويسرا وايطاليا

(٢) ضمت بيدمنت الي فرنسا .

ولما قبل نابليون هذا الصلح لم يجد أمامه سوي انجلترا فأخذ يعد العدة للقضاء علي جيوشها .

رأي نابليون أن البحرية الفرنسية ضعيفة فعرض علي الدانمارك والروسيا والسويد وبروسيا تكوين حلف بحرى عام ١٨٠١ . غير أن قبول نابليون لصلح أميان في مارس سنة ١٨٠٢ غير عقد التحالف وشروط صلح أميان هي :

(١) تركت انجلترا لفرنسا كل مانالته منها وحلفائها عدا ترنداد ورأس الرجاء الصالح

(٢) تعهدت انجلترا برد جزيرة مالطة الي فرسان القديس يوحنا ومنورقة الي اسبانيا

(٣) تعهدت فرنسا بترك مصر لسلطان تركيا .

الفصل الثاني عشر

حروب نابليون الامبراطور

ذكرنا من بين شروط معاهدة أميان أن انجلترا تعهدت برد جزيرة مالطة الي فرسان القديس يوحنا. غير أن انجلترا عادت فنقضت هذا العهد. ورفضت الجلاء عن الجزيرة. أخذ نابليون يتحرش بانجلترا التى قامت تكون حلفا ضده ومن ثم بدأ النزاع العظيم الذي انتهي بتداعي الامبراطورية الفرنسية وبنفى نابليون

نظرت النمسا بعين الحاسد الي نابليون فقد عز عليها اتساع ملكة وازيادقوته. وبجانب النمسا تجد الروسيا وبروسيا وقد شعرتا الشعور عينه

فعرضت انجلترا علي الثلاث دول التحالف معها وأظهرت مديدها بالمال الكثير لو اتحدت بجانبها. وفي صيف ١٨٠٥ كونت النمسا وانجلترا والروسيا حلفا ضد فرنسا. أما بروسيا فلم توافق علي هذا الحلف وخرجت منه

كانت قاعدة نابليون في الحرب « الوقت كل شيء » فأصدر أوامره باعداد المعدات والتأهب للقتال مع الدول المتحالفة ضده . وسرعان ماطيرت تلك الاوامر من بولونيا إلي باريس . فالولايات الالمانيه فايطاليا . فقواده البريين والبحريين . وما كاداليوم الثامن والعشرين من أغسطس ١٨٠٥ حتى تحركت فلول جيشه . وبعد مضي شهر من هذا التاريخ . عبر نابليون وجنوده نهر الرين . وفي ٧ أكتوبر أي بعد مضي سبعة أيام من عبور نابليون لنهر الرين كان الجيش في باڤاريا لاقي نابليون الصعوبات من رداءة الجو وتغيره . غير أن هذا لم يعقه في سبيله . فكان على صهوة جواده ليل نهار وسط الجنود وحذاءه بقدميه ولم يخلعها الا بعد أسبوع والجنود واقفة والجليد يغطي أرجلهم الي ركباتهم

وبعد أربعة أيام من هذا التاريخ سلم القائد النمساوي (ماك) وجنده في موقعة (ألم) . وقدغنم بعد هذه المعارك ستين ألف أسير . ومائة وعشرين بندقية . وتسعين علماً . وأكثر من ثلاثين قائداً . في حين أن نابليون لم يخسر سوي

١٥٠٠ جندى معظمهم من الجرحي

وجد نابليون أن أبواب ڤينا مفتوحة أمامه فلم يجد مانعاً من دخولها . فلما علم الامبراطور النمساوي بذلك فر وحاشيته إلي (برن) على بعد ثمانين ميلا من شمال ڤينا حتى يلتجأ الي الروسيين (تحت قيادة اسكندر الاول) الآتين من برلين ويحتمي بهم

اتبع نابليون أعداءه واشتبك معهم في عدة وقائع كانت (أوسترلتز) ديسمبر ١٨٠٥ نهايتها . وقد خرج نابليون من تلك المعركة فخوراً منصوراً .

اضطرت النمسا عقب موقعة (أوسترلتز) من عقد صلح مع فرنسا فوقعت معاهدة (پرسبرج ٢٦ ديسمبر ١٨٠٥) وشروطها كالآتى : ـ

(١) نزلت النمسا لفرنسا عن البندقية ودلماشيا وأوستريا والتيرول .

(٢) اعترفت النمسا (باتحاد الرين) الذى شمل باڤاريا وورتمبرج وبادن وعدة ولايات أخري

(٣) أجبر امبراطور النمسا على التخلي عن لقب امبراطور الدولة الرومانية المقدسه

بروسيا ونابليون : انضمت بروسيا إلي جانب الحلفاء ضد نابليون لما رأت من شدة مطامعه . وسلوكه سياسة معادية لها . ونقضه عهوداً وعدها بها

لم ترض بروسيا بالانضمام إلي الحلفاء في باديء الامر فصادقت نابليون . وطلبت منه أن يضم اليها (هانوفر) فتصل إلي مرتبة الامبراطورية .

ثار غضب الشعب البروسي لما رأي الجيوش الفرنسية في جنوب وغرب ألمانيا . وبسط سلطان نابليون على إيطاليا بخلعه أسرة البربون من نابلي . ومفاوضة نابليون انجلترا سراً لأعادة هانوفر اليها .

ازداد هياج الشعب البروسي . وأعلن الحرب على نابليون في أكتوبر ١٨٠٦ . فاتخذ نابليون هذا ذريعة وباغت الجيوش البروسية وهزمها في موقعة (چينا) الي يمين (أرستادت) في أكتوبر ١٨٠٦ مع العلم أن الجيوش البروسيه كانت أضعاف

(نابليون في چينا)

الفرنسيه ولكن تمكن نابليون من تشتيتها نحو الالب .

وفي ٢٥ أكتوبر ١٨٠٦ كانت الجنود الفرنسية على أبواب برلين ودخلتها وفتحتها في السابع والعشرين منه . ولقد كان بألمانيا اثني عشر ألف رجل من المهاجرين الفرنسيين غادروا فرنسا أيام النزاع الديني وصدور مرسوم (نانت) وكلهم من البروتستانت . فقابلهم نابليون برفق وثغر باسم

شرع نابليون في تقسيم المانيا أثناء وجوده بها . فضم سكسونيا إلي ممالك (اتحاد الرين) وأنشأ مملكة وستفاليا ونصب جيروم أحد أخوته ملكا عليها . وأصدر (مرسومات برلين) : معلنا محاصرة الجزر البريطانيه لتضييق الخناق على تجارتها

رجع ملك بروسيا بجيوشه الي جنوب خليج (دانزج) وتقابل بجيش قيصر الروسيا الذى أتى لنجدته . الا أن نابليون هزم الحليفتين في موقعة (ايلو) ٨ فبراير ١٨٠٧ . وفي ١٤ يونيو هزم الجيشين في (فريدلند) والي هنا وقفت الحرب . وذهب نابليون توا الي (تيلست) وتقابل بامبراطور

الروسيا وملك بروسيا للاتفاق سويا على رسم خريطة اوروبا من جديد .

استغرق هـذا العمل أكثر من اسبوعين . وتمت معاهدة (تيلست) في ٧ يوليو ١٨٠٧ . واشتملت على الشروط الآتية : —

(١) اعترفت بروسيا بمملكة وستفاليا . وتخلت عن أملاكها غرب الالب .

(٢) تنازلت بروسيا عن ممتلكاتها في بولنده الي ملك سكسونيا . وقبلت تحديد عدد جيشها .

(٣) وافق قيصر الروسيا (اسكندر الاول) على تنفيذ النظام القاري (محاصرة الجزر البريطانية) . وعلي التغيرات التى أحدثها نابليون في المانيا .

(٤) تعهد نابليون بالانضمام الي قيصر الروسيا ضد تركيا . ومساعدته في الاستيلاء علي فنلنده ووادى الطونه .

وقد كان صلح تيلست هذا أقصي حد لاتساع سلطان نابليون ويالیته اكتفى به واهتم بشؤون البلاد الداخلية حتى

يكون قد أمن خلود الامبراطورية له ولنسله من بعده . الا أن مطامعه لم توقفه عند حد وغرامه في السلطان لم يكن له نهاية .

نابليون وايبريا : لم تعمل ايبريا (ولايات البابا) بالنظام الذي فرضه عليها نابليون وعلى غيرها من مقاطعة التجارة الانجليزية . فكانت هي المنفذ الوحيد لتلك التجارة . فأراد نابليون أن ينتقم لنفسه منها . فأعلن تبعية أملاك البابا لفرنسا . فحرمه البابا من غفران الكنيسة .

غير أن نابليون أثار شعور الشعب الكاثوليكى . فقبض على البابا وأودعه السجن . فثارت ثائرة الشعوب لاعتبارها ان في ذلك مس لكرامتها . فهبت تدافع عن كرامتها وتذود عن حياضها .

نابليون واسبانيا : كانت تلك الحرب التى استعرت في ايبريا . بدىء الكوارث التى انتهت بضياع سلطان فرنسا الواسع الاطراف فان اسبانيا والبرتغال أخذتا تدافعان دفاعا مجيدا انحطت أمامه قوي نابليون وأضاعت شيئا من هيبته وصيته

عين نابليون أخاه يوسف بونابرت ملكا على اسبانيا فثارت ثائرة الاسبانيين لتولي غريب عنهم حكم بلادهم . وساعدهم على نجاحهم طبيعة بلادهم وتقسيمها بالجبال . فقسمت الجنود الفرنسية . وبات من الصعب لم شعثهم . وزاد الامر خطورة تدخل انجلترا . فسيرت حملة الي لشبونة في اغسطس ١٨٠٨ بقيادة (ولزلي) فهزمت القوات الفرنسية عند (ڤميرو)

رأي نابليون ان خير طريقة يحتاط بها لنفسه من دول اوروبا وغدرها . ان يلتقي بالاسكندر قيصر الروسيا ويجدد معه الصداقة . وتم له ذلك في (أرفرت) سبتمبر ١٨٠٨ وتم له أيضا اخضاع البلاد . وطفق يدخل النظم الحديثة والمشروعات المصلحة في بلاد ليست من المدينة في شيء . غير أن الاسبانيين أظهروا كل العداء للفرنسيين وألحوا في طلب الاستقلال .

النمسا ونابليون : رأت النمسا أنه قد نالها الغبن . وأصبحت تعاني الآلام عقب معاهدة برسبرج وصلح تيلست فرأت ان الفرصة قد سنحت للتخلص من نابليون خصوصاً

انه متعب عقب الحملة الاسبانية . فأعلنت عليه الحرب في ٦ أبريل ١٨٠٩ . ولم توجه النمسا قواتها الي فرنسا فحسب بل وجهت جيوشا الي الروسيا حليفة نابليون . واخرى الي ايطاليا . وغيرها الي فرنسا . ولكن نابليون عاجل النمساويين بضرباته فارتدوا متقهقرين ودخل ڤينا في ١٣ مايو ١٨٠٩ وضربهم أيضا في موقعة (إسپرن أيسلنج) ثم انتصر عليهم وسحقهم سحقا في موقعة (واچرام) في ٦ يوليو ١٨٠٩ . واضطرت النمسا الي قبول صلح (شينبرون) ١٤ أكتوبر ١٨٠٩ وقبلت الشروط الآتية .

(١) تخلت عن سلزبرج وضمت الي اتحاد الرين . ونزلت أيضا عن جزء من بوهيميا .

(٢) أعطت كراكوا وغاليسيا الغربية الي ملك سكسونيا

(٣) استولت فرنسا على تريستا وكرواتيا ودلماشيا

(٤) أخذت الروسيا جزءا من غاليسيا الشرقية .

الحملة الروسية : لم يقم نابليون بمساعدة الروس ضد الترك كما تعهد في « صلح تيلست » . ولم تنل الروسيا من وراء

النظام القاري الا الضيق الشديد الذي حل بأهلها . كما ان نابليون أصبح لا يعبأ بمصالح الروسيا بل وجه جل همه لخدمة النمسا بعد أن تزوج بماري لويز .

كانت تلك الاسباب دافعة للروسيا على نقض معاهدة تيلست وعدم تنفيذ النظام القارى بل وفتح الثغور الروسية للمتاجر الانجليزية .

ولما رأي نابليون هذا التناقض العظيم لسياسته شن الغارة على الروسيا كي يحافظ على تنفيذ خطته

جهز نابليون جيشه في شهر مايو ١٨١٢ وسار به الي الروسيا في يونيو واشتبك الجيشان عند نهر « برودينو » وكانت الحرب سجالا . ثم أخلى الروس الطريق لنابليون . وجردوا المدن من المؤن . وكل مايحتاج اليه نابليون في طريقه . وظل نابليون مواصلا السير حتى دخل موسكو فوجدها ساكنة خاوية على عروشها . بقي نابليون منتظراً خارج أسوار المدينة بغير ماجدوي . وقد كان ينتظر عقد صلح . ولكن عبثا حاول فقفل راجعا بعد ان ذاق وجنده برد

الروسيا القارص .

غير ان انخذال نابليون يرجع الي دخوله في أرض لم تألف جنوده فيها القتال . وصادف ان لازمه صداع في يوم موقعة « برودينو » أو « مسكوڤا » كما سماها الفرنسيون وقد اضطر الا يغادر خيمته مصدراً أوامره حسب التقارير التى كانت تقدم اليه .

لم يجد نابليون شيئا أسلم له الا العودة الي فرنسا سيما وقد حاول عقد صلح مع القيصر اسكندر الاول الذي لما علم بذلك قال « لا يمكنني امضاء أى صلح الا بعد الجلاء التام . فلا أود أن أرى جنديا فرنسيا باقيا علي أرض الروسيا » . ازدادت الحالة سوءا . فلا طعام ولا ذخائر زد علي ذلك ازدياد الجنود الروسية حول موسكو وحصارهم المدينة .

وفي ١٩ اكتوبر غادر موسكو مائة وخمسة عشر الف جندي من الفرنسيين يتبعهم اربعون الف عربة محملة بالجرحي وفرسان القوازق من خلفهم يطاردونهم وتنزل سماء الروسيا عليهم صبارة القر . وقدمات الآلاف من الجنود قبل وصولهم

الي « سمولنسك » .

ويضيق بنا المقام أن نذكر هذا السير المخيف المملوء بالوحشة والرهبة عند ماقاربوا (برسينا) فقد تعالت أصوات الجنود الفرنسية بل ونابليون نفسه من ألم الجوع .

هذا ولولا عناية المارشال « ناي » لما بقي لنابليون جندى واحد فاليه وحده يعزى خلاص البقية الباقية من الجنود الفرنسية . غير ان نابليون لم يشعر بأنه هزم أو خزل بدليل قوله .

« ان الروسيين لا الفرنسيين هم الذين قاسوا وخذلوا . فموسكو مدينتهم العظيمة وعاصمة بلادهم هي التى حرقت وحقولهم ومدنهم هي التى دمرت . لم يلحق جيش الروسيا بجيشي ضراً . بل برد بلادهم القارص . وفرسان القوازق هما العاملان في الحاق الضر بجيشي . ولكن اى ضر ؟ انى سأعوض ماقد فسد : فانى اجهز حملة للقيام بها في هذا الربيع »

ولما وصلت أنباء الكارثة التى حلت بنابليون وجنوده وجدت بروسيا ان الفرصة سانحة للانتقام لنفسها من نابليون

الذي الحق الضر بها . فقيد متاجرها وانزل بها الخسائر الفادحة في موقعة (چينا) فانضمت الي الروسيا واتفقتا سويا على القضاء على سلطان نابليون في اوروبا وتسمي تلك المعاهدة بمعاهدة « كاليش » .

اخذت بروسيا تعمل على اعادة الحرية اليها . وكان رائدها في هذا السبيل (شارنهرست) و (ستين) . راى شارنهرست ان عدد الجيش البروسي محدود كما تبين لنا في معاهدة تيلست . فلم يكن ذلك حجر عثرة في سبيله فأخذ ينظم جيشا على احدث الطرق والنظم الحربية . ولا نغالي اذا قلنا انه درب كل بروسي علي القتال . ولم يأت شهر مارس ١٨١٣ حتى كان الجيش البروسي علي اهبة تامة للقتال مع الفرنسيين . هذا فضلا عما قام ببروسيا من الاصلاحات الادارية ونهضة التعليم فيها ويرجع الفضل في ذلك الي (ستين) الذي اخذ علي عاتقه اصلاح البلاد اداريا و (همبولت) الذي بث بذور الوطنية حتى اظهر الشعب البروسي علي يديه العجاب من مظاهر الحماس المتأجج . والغيرة الصادقة .

الفصل الثالث عشر

طالع النحس

اخذت تدب في دول اوروبا روح جديدة . فتحالفت الدول المعادية لنابليون وخرجت لقتاله ولكنه انتصر عليها في عدة وقائع أهمها (لوتزن) و (بوتزن) . غير ان نابليون لم يعتبر انتصاره هذا انتصاراً . فرأي أن خير وسيلة يلم بها شعث قواه . ويتأهب بجيش كبير للايقاع بالجيوش المعادية له . عرض السلم على تلك الممالك .

ولكن النمسا انست من نابليون ضعفا فاشترطت أن يعيد اليها مااغتصبه منها فرفض نابليون أى شرط ولم يقبل أن ينزل علي أدنى بقعة من أي اقليم شاده على أسنة الحراب . وبذلك كونت النمسا والسويد وبروسيا معاهدة « ريشنباخ » ٢٧ يونيو ١٨١٢ . وكانت النتيجة أن الجيوش الفرنسية اخفقت في جميع الميادين ماعدا موقعة « درسدن » . وظلت جيوش الدول المتحالفة تطارد الجيوش الفرنسية بعد أن أنزلوا

بها النكبات فاضطر نابليون الي التقهقر الي ماوراء الرين.

أخذت دول اوروبا منذ ذلك الحين تعمل على التخلص من سلطان نابليون . فهبت كلها تطلب حقوقها ولا ترضي الا برجوع ما اغتصبه منها نابليون .

ففى اسبانيا نري « ولزلي » ينتهز فترة الضعف هذه وينقض بجيوشه على الحامية الفرنسية ويهزمها في موقعتى « سلامنكا » و « فتوريا » . واستولي على « مدريد » نفسها بعد أن سحق الجيوش الفرنسية سحقا . واضطرها الي التراجع الي ماوراء جبال البرانس .

لم يكن هذا الشعور شعور الدول المعادية فقط بل كان شعور الفرنسيين أنفسهم فتغيرت فرنسا تحت تأثير الضحايا المتوالية . التى هلكت في بلاد الروسيا وبروسيا وايطاليا والنمسا واسبانيا . وقد ساورهم الشك انفسهم في « ان نابليون هو الرجل الانانى الذي سخر الفرنسيين لارضاء مطامعه وشهواته » فأعلنت فرنسا انها ترغب في السلام . وقد باتت تئن تحت عبء عظيم من الضنك والاعسار الشديد .

عرضت الدول المتحالفة صلحا شريفا يقضي بأن يبقي لنابليون ملك فرنسا بحدودها الطبيعية في (فرنكفورت) نوفمبر ١٨١٣ . ولكن نابليون لم يطأطيء رأسه امام قضاء القدر . فرفض قبول الصلح قبل عرضه عليه . وفضل أن يتحمل النكبات على أن يرضي بهذه الشروط المهينة .

ولما رأي الحلفاء تمسك نابليون الشديد وتعصبه . تعاهدت جميعها في معاهدة (شومنت) مارس ١٨١٤

وشروطها كالآتى : —

(١) محاربة نابليون لرفضه طلبهم في ارجاع فرنسا الي حدودها القديمة قبل الثورة .

(٢) أن يعمل بتلك المعاهدة مدة عشرين سنة حتى يستتب السلام في اوروبا .

واصلت جنود الحلفاء الزحف الي باريس وبعد عدة وقائع كان النصر فيها حليف الدول المعادية لنابليون سقطت (باريس) نفسها في أيديهم في ٣١ مارس ١٨١٤ .

أخذ نابليون يشجع قواده وجنوده فدعاهم لمواصلة

الجهاد. وأوصاهم الا يتسرب اليأس الي قلوبهم ولكن بغير ماجدوى . فوجد نابليون أن فرنسا قد تداعت أعصابها وانحطت عزيمتها . وفي (فونتنبلو) تنازل نابليون عن عرش الامبراطوريه لابنه ملك روما وترك لقب امبراطور وأخذ بدله لقب ملك جزيرة (البا) وكان ذلك في ١٤ ابريل ١٨١٤

وحالما غادر نابليون فرنسا دخل (لويس الثامن عشر) باريس وبذا أعيد عرش فرنسا الي اسرة (البربون) وأمضي معاهدة باريس الاولي ٣٠ مايو ١٨١٤ فأجاب طلب الحلفاء وأعاد فرنسا الي حدودها الطبيعية قبل الثورة .

سافر نابليون الي جزيرة البا بين مظاهر العداء . فبلغت الوقاحه . ونكران الجميل . بجماعة المهاجرين الذين عادوا مع الملك لويس الثامن عشر البربونى ان حطوا من شأن الانتصارات العظيمة التى كللت جبين فرنسا على يد نابليون. غير ان الملك الجديد قرر ابعاد اولئك القواد العظام وعين بدلهم شبانا ليس لهم الا شرف المحتد . وأشد ما أدمي عيون اولئك الابطال انهم أخذوا يرون تهاون الحكومة الملكية

الجديده في منحها المواقع الحصينة والمدافع الضخمة والسفن الحربية للمتحالفين وغير ذلك من منح الأوسمة يمينا وشمالا مع انهم لم ينالوها الا بعد استهدافهم للموت آلاف المرات

تسلم نابليون ادارة جزيرة البا فأخذ يصلح الطرق : ومناهج التعليم وعمل على انهاض التجارة . وتشجيع الصناعة فما مضت بضعة شهور حتى ظهرت آثار الاصلاح في أبهي مظاهرها .

الفصل الرابع عشر

عودة نابليون — النضال الاخير

انتظر نابليون حتى تسنح الفرص ، فأخذ يستطلع نجم فرنسا ويتنسم أخبارها من وراء البحر . فعلم بالنزاع القائم بين الحلفاء على توزيع الغنيمة . وبسخط الامة من الحكم الملكي الجديد الذي أخذ يشتد ويتفاقم .

كانت تلك العوامل مساعدة لنابليون على مبادرته بالهرب الي فرنسا في ٢٦ فبراير سنة ١٨١٥ . فأبحر من الجزيرة مع جملة من رجاله القدماء على الباخرة (انكونستان) عائداً الي فرنسا . وبينما كان مبحراً أبصرته البارجة (زفير) فتقدمت نحوه للاستيضاح ولما أبصرت علم جزيرة البا سأل ربانها عن نابليون فأجاب نابليون نفسه « انه على مايرام »

وفي أول مارس سنة ١٨١٥ ، نزل نابليون الي الارض الفرنسية من جهة خليج « دون جوان » ، وأصدر

الي فرنسا منشورا قال فيه :-

« أيها الفرنسيون . ان ما تقرر بلا رضاكم لا يعد شرعيا ، ويا أيها الجنود . أترضون أن تقيد نسورنا بأيدي الذين قضوا خمسة وعشرين عاما وهم يطوفون في انحاء اوروبا ليثيروا علينا الاعداء والذين حاربو الفرنسيين تحت الاعلام الاجنبية ؟ فهيا اذا الي رئيسكم . واجتمعوا تحت لوائه . فان وجوده من وجودكم وحقوقه ليست الا من مصلحتكم وشرفكم ومجدكم ان النصر سيأتى على جناح السرعة والنسر الامبراطوري سيطير بألوانه الوطنية من قبة جرس الي اخري حتى يبلغ نوتردام »

واصل نابليون السير بعد هذا المنشور فهرع اليه أنصاره وجنده القدماء . ولما صار علي مقربة من مدينة (جرينوبل) وجد فرقة من الجند أمرتها الحكومة لسد الطريق عليه . فما كان من بطل (اوسترليتز) الا ان نزل عن جواده وتقدم نحو الجنود فاتحا صدره قائلا « أبينكم من يريد قتل امبراطوره ؟ » فحولت الجنود سلاحها . وصاحت بصوت

يشق عنان السماء « ليحيي الامبراطور » .

ولما غادر نابليون (جرينوبل) تقدم الي « ليون » واستولي فيها علي السلطة الفعلية . رأي الملك البربونى ذلك فذعر ووجل . فأرسل فرقة من الجند تحت قيادة الماريشال « ناي » لاسر نابليون . وكم كان مؤثراً منظر نابليون وقد اغرورقت عيناه بالدموع حينما تهافت « ناي » بين ذراعيه فضمه الي صدره . وعاد الجيش الذي أرسله الملك البربونى لاسر نابليون حرسا فخما له . واضطر لويس الثامن عشر الي الهرب خوفا علي عنقه . وفي ٢١ مارس دخل نابليون مدينة باريس فوجد ان لويس قد فر قبل دخوله المدينة بيومين .

ولم يلبث نابليون بمجرد أن استوي علي سدته العلية ان جمع القلوب حوله . وخفف من ثائرة الدول . فأعلن رغبته في السلام . وأعاد للامة برلمانها الذى كان مؤلفا من مجلسين . أحدهما انتخابى والثانى ارثى . وأشرك الامة معه في الحكم باصداره قرارات (القانون الاضافي) فزاد من

مسئولية الوزارة أمام المجلسين التشريعيين .

رأت دول اوروبا انه من العبث أن يسلم نابليون مهما تحمل من ويلات الحرب وأحاطت به الظروف الحرجة . والمواقف الشديدة . فتعاونت جميعها في القضاء عليه حتى لا يعود الي تعكير سلام اوروبا من جديد . وما ظهر هذا التحالف الاوربى حتى كان لدى نابليون ١٦ الف جندى كلهم من شبان فرنسا المتحمسين الاقوياء . وكانت خطته ان يقضي علي جيش كل من بروسيا وانجلترا على انفراد فقاتل فريقا بعد فريق وقهر كل قسم منهم على حدة .

قهر الجيش الفرنسي البروسيين تحت قيادة « بلوخر » عند « لينى » في ١٦ يونيو ١٨١٥ . وانتصر عليهم أيضا عند (فلوريس) حتى تقهقر (بلوخر) الي أن وصل (الواثر). التفت نابليون الي مقاتلة الانجليز . بعد أن وكل الي القائد « جروشي » أن يواصل مطاردة البروسيين . ثم ينضم اليه للاجهاز علي الجيش الانجليزي . وتمكن الماريشال « ناى » من طرد الانجليز من (سان جان) بعد استيلائهم عليها .

أخذ نابليون يتعقب (ولنجتن) ليسحق قوته قبل أن يتم اتصاله بيلوخر وانه لعلي تلك الحال واذا بغبار يملأ الفضاء . والرصاص يسفر في الهواء وجرت بينهما المعركة التاريخية الكبري الا وهي موقعة (ووترلو).

وفي الساعة الثامنة مساء من ليلة ١٨ يونيو وقع الحادث الحربي العظيم . وهو دخول الحرس الامبراطوري قلب المعمعة فان أربع فرق ألفت مربعا وأخذت تقاوم جيوش الاعداء فكان كل جندي منها يقاتل ثلاثين حتى فنيت ولم يبق منها الا واحد مع القائد كامبرون فأوعز اليه القائد الانجليزي بأن يسلم فأجاب (كامبرون) ذاك الجواب التاريخي « ان الحرس يموت ولا يسلم » . ولقد أظهر البروسيون فظاعة لطخت شرفهم العسكري بالعار عند ما أسروا بقية أولئك الابطال فانهم أهانوا المارشال (لوبو) أبلغ اهانة ، وذبحوا الجنرال فاندام وجملة من الضباط .

ولقد أجمع النقاد الحربيون على أن الخطة الحربية التي وضعها نابليون في تلك المعركة المعروفة بمعركة (ووترلو)

لحدوثها عنة قرية (ووترلو). كانت أقوى دليل على سمو فكره وصدق نظره. واصالة رأيه. ولكن سوء الطالع الذى تمثل في خطأ (جروشي) ومعاكسة الطبيعة له. فامطرت السماء طول ليلة ١٨ يونيو. فتعذر على الجنود نقل المدافع الضخمة كل ذلك أجهز عليه وذهب بحظه الاسعد.

أسرع نابليون بالفرار من ميدان القتال وعاد الي باريس والجنود الانجليزية تراقب الشواطيء عن كثب خشية هربه. ولما ضيق الخناق عليه تنازل لابنه للمرة الثانية ولقبه (بنابليون الثانى). غير أن مجلس النواب أبى أن يعترف به فرغب في السفر الي أمريكا. ولكن سدي حاول لمحاصرة الشواطيء بالبوارج الانجليزية وبث الارض بالعيون والجواسيس من حوله ولما سد أمامه كل طريق ذهب الي ربان السفينة الانجليزية (بيلورفون). وسلم نفسه لكرامة انجلترا وطلب البقاء تحت رعاية القوانين الانجليزية. ولكن انجلترا أبت مع حلفائها الا نفى نابليون إلي جزيرة (القديسة هيلانة) حيث قضي بقية حياته بعيداً عن ابنه وحيده الي أن

قضى نحبه

فكر نابليون بعدمعركة (ووترلو) في الانتحار تخلصاً من إهانة النفى والاسر

ثم عدل عن هذا الرأي فرضي بالعيش في جزيرة قاحلة وتحمل فظاظة رئيس حراسه . وحرمانه من رؤية ابنه وفلذة كبده . فأجاز بعضهم لنفسه أن يحسب تفضيل هذا العيش المر على الانتحار ضربا من ضعف القلب . ولكن نابليون قال شيئاً يوضح لنا سر نكوصه « وهو أن كل انسان في هذه الدنيا خلق لأمر يقوم به فيجب أن يبقي حياً ليتمه الي آخره »

كان نابليون شجاعا بالمعني الصحيح . فأقدامه على الانتحار كان ضربا من كره الحياة لما رآه من الانحطاط الانسانى لاجبنا ولا خوفا من مصاعب شامخة .

وفي ٧ يوليو سنة ١٨١٥ احتلت جنود الحلفاء مدينة باريس . واضطرت فرنسا إلي امضاء معاهدة (باريس الثانية) في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨١٥ واشتملت علي الشروط الآتية :

(١) أن يحتل جنود الحلفاء مدينة باريس لمدة خمس سنوات

(٢) أن تقوم فرنسا بدفع ضريبة قدرها ٧٠٠ مليون فرنك

(٣) أن تتنازل فرنسا عما استولت عليه بعد سنة ١٧٩٠ وتعود الي ما كانت عليه.

الفصل الخامس عشر

أخلاقه مع قواده وجنوده

كان يعتبر نابليون جنوده أولاداً له بالمعني الصحيح . يشرف على امورهم . ويسهر عليهم . كما يسهر الاب على بنيه فكان شديد الانتباه علي وجه أخص الي اصاغر الجنود . اذ كان يعتقد ان الجندي الصغير قد يكون ذا قلب كبير .

كان يلبس نابليون لكل حالة لبوسها . فيضع اللين في محله . والقسوة في موضعها . فكثيرا ماعفا عن جندى مذنب وقد رأى وجها لعذره . وكثيرا ماأعرض عن التسامح اذا ما رأى أن التسامح مضر بالمصلحة الحيوية .

كانت له هيبة بين الجنود . رغم انه كان حسن المعاملة اذ وجدها مدعاة لزيادة الاخلاص ، قال دوق فيسانس « ان تلك الشوارب القديمة (يعنى رجال الحرس) لم يكونوا يجسرون على مخاطبة أصغر ملازم في الجيش بمثل ما كانوا يخاطبون ذاك القائد الاكبر الذى كانت هيبته تملأ نفس الجيش كله »

واليك حكاية تدلك علي شيء من خلقه :

« حدث أيام معارك بروسيا ، ان الجنود الفرنسية ضربت مضاربها لتستريح بعد السهر المضني ثلاث ليال متوالية ولما أرخي الليل سدوله . خرج نابليون يتفقد أحوال الحراس في أطراف المعسكر جريا علي عادته في كثير من الاحيان ولا سيما في الاوقات العصيبة ، فاتفق أثناء مروره أن رأي حارسا قد تسلط عليه النوم بعد السهر الطويل فهوى الي الارض ينام تاركا بندقيته الي جانبه ، فأراد نابليون أن يوقظه ، ولكنه أبصر في تلك الدقيقة طوافة من الضباط قادمة نحوه ، فما كان منه الا أن أخذ بندقية الحارس النائم ووقف مكانه حتى لا يدع الضباط يبصرونه ويعاقبونه ، ولما طلبت الطوافة سر الليل أجابها نابليون فسارت في طريقها لاتمام التفتيش . وفي تلك الاثناء استيقظ الحارس النائم . فوجد بندقيته بيد رجل غيره . فأسرع نحوه فاذا هو قائده ومولاه . ولكن نابليون سرى عنه قائلا (لا تخف) ثم سأله (كم مضي عليك من الزمن بلا نوم ؟) فقال (ثلاثة

أيام ومع ذلك فانى ما كنت لانام لولا ماأصابني من الجروح)
ثم أبصر نابليون أن الجندى كان مصابا بجرحين فأعجب به ومنحه وساما ثم قال وهو يبتعد عن ذلك البطل « لا ريب أنى أستطيع فتح العالم بهؤلاء الرجال .

نابليون مع قواده : — كان في معظم الاوقات يجرح باليمين و يداوي بالشمال . ومما قاله الخصوم في تفسير السلوك الحميد (أن مصلحته الخاصة . وقلة الرجال الاكفاء حملتا نابليون على مدارة الرجال) وهو تفسير لا يذهب بفضل نابليون ولا يحط من قدر سلوكه بل يدل على حسن سياسته. ومدارته واصالة رأيه . وليس بمنكر علي الرجل أن يفعل الخير ويحسن صنعا لانه يتفق مع مصلحته أو لان مصلحته كانت تدفعه اليه . فانما الامور بنتائجها لا باسبابها .

كانت خطته مع قواده أن يكسر من حدة القوى الفخور ويثيرها حماسة البليد . شرع يوما في تعنيف ضابط في رتبة كولونيل لان جنده أضروا بعمل مصلحي . فشق علي الضابط أن يسمع الكلام المر من قائده وأراد أن يتنصل .

فقال له نابليون همسا « أنا صدقتك فاسكت » وفي اليوم التالي دعا نابليون الكولونيل وقال له « كن مستريح الفكر فقد كنت أعنف في شخصك بعض القواد الذين كانوا بجانبك ولو وجهت اليهم التعنيف مباشرة لاوقفتهم في موقف يستحقون فيه التحقير أو ماهو أبلغ منه . »

جرح قائدا كبيرا بانتقادشديد وهو الجنرال (مارمون) علي بعض أعماله الحربية في معركة (واجرام) . فسخط (مارمون) من هذا الكلام . وعاد الي منزله كسير القلب . شديد الكرب . فما وصل حتى جاءه رسول امبراطورى يحمل اليه البشرى بترقيته الي رتبة مارشال .

ولما استوي نابليون علي العرش الامبراطورى لم يتغير شيء من عواطفه نحو قواده . بل لبث يسمح للمارشال « لان » بأن يخاطبه بصفة المفرد. ومابلغ نابليون خبر اصابته بجرح مميت حتى تولاه حزن عميق . وأخذ يزوره صباح مساء . واتفق انه وصل في عيادته الأخيرة بعد أن لفظ المارشال روحه الطيبة فتقدم نابليون وقبله وبكى ثم أخذ يقول

« يالخسارة فرنسا . يالخسارتى » . ولما حاول (برتييه) أن يذهب به ويكفيه مؤونة ذاك المنظر الاليم قاومه نابليون نحوا من ساعة .

وفي اليوم التالي كتب الي أرملته يقول « أيتها النسيبة مات المارشال علي أثر الجروح التى أصابته في ساحة الشرف فخلف لي من الحزن مايضارع حزنك . ولا غرو فانى فقدت افضل قائد للجيش . وخير رفيق وصديق لزمني منذ ست عشرة سنة . ان اسرته وأولاده لهم كل حق في طلب حمايتى ورعايتى »

كان له شعور رقيق لم يفارقه حتى في ساعة الحرب وبين أهواله كتب عن موقعة استرليتز الشهيرة فقال :

« انى لم أرساحة من ساحات القتال أشد هولا وفظاعة من استرليتز . فنحن نسمع من وسط البحيرات الواسعة صراخ الآلاف من الرجال . ولا نستطيع مساعدتهم آه ! ان قلبي يقطر دما »

وروي دوق رومنجو . إن الامبراطور نابليون امتطي

جواده بعد معركة (واجرام) وأخذ يتفقد ساحة القتال جريا على عادته . وكانت سنابل القمح عالية جداً فلم يكن في وسع الباحثين عن الجرحي أن يروا الجندي الجريح فأخذ كثيرون من الجرحي المساكين يربطون مناديلهم برؤوس البنادق ليدلوا الباحثين عن مواضعهم . وكان الامبراطور يذهب بنفسه إلي حيث كانت المناديل ويحادث الجرحي . ويطيب نفوسهم ولم يعد من ساحة القتال إلا بعد أن نقلوا آخر جريح

كان نابليون يظهر هذا الشعور الجميل لحد محدود . ولم يكن ليحول دون استقلال فكره وارادته . فقد كان عند الضرورة شديداً قاسيا . قصده الجنرال (دينوا) سنة ١٧٩٧ بقصد التملق والتزلف فقال له نابليون « عرفتك لما كنت قائداً في لمبارديا وعرفت انك قليل النزاهة عاشق للمال على انى كنت أجهل انك جبان فأخرج من الجيش ولا تظهر أمامي مرة أخرى »

الفصل السادس عشر

الحياة في المنفى — موت نابليون

سلم نابليون نفسه الي الحكومة الانجليزية التى أخذته في الخامس عشر من شهر يوليو ورحلته على ظهر الباخرة (بللروفون) التى رست بعد اسبوع في ميناء (بليمث) ولم يلبث أن عومل نابليون في مدينة (بليمث) معاملة السجين لا الضيف. كما كان يظن وقت أن سلم نفسه لكرامة انجلترا ورعايتها. وقد رأت انجلترا ان جزيرة القديسة هيلانه خير مستقر له . وبعد اسبوع من مقامه في بليمث أمرت الحكومة الانجليزية بنقل نابليون الي الباخرة (نورثمبرلند) التى اقلعت الي جزيرة سنت هيلانه ورست علي شواطئها في اكتوبر سنة ١٨١٥ .

تلقي نابليون أمر النفى بالحزن الشديد . وتناقش مع « لاس كاس » في الانتحار فقال (انه الخلاص الوحيد . فليس عندي أدنى مقاومة لهذه الفكر وفأريح أصدقائى

الذين سيرافقونني من مشقة السفر وتركهم أولادهم وعائلاتهم) ولكنه رأي انه سيرمي باللوم وسيكون تنفيذ فكرة كهذه وصمة في تاريخه فاستسلم أخيرا للقضاء .

نزل نابليون بأرض قفر محفوفة بالصخور . لا يجاورها من سكن الانسان الا مايبعد عنها مئات الاميال واختيرت له السكني على قمة جبل في مكان يدعي (لنج وود) في بيت رطب لا يعرف الشمس . وبقعة غير صحية تبعد عنها المياه بقدر ثلاثة أميال علي الاقل .

استولي على نابليون الغم والهم وشعر بالانقباض والقلق لما رآه من غلظة حاكم الجزيرة السير (هدسن لوي) الذى احتاط بكل الوسائل خشية هرب نابليون (كما كان يعتقد) فمثل معاملة سجان لا ضابط محافظ وارتكب في معاملته الفظاظة وغلظة القلب . مما حمل نابليون الي عدم رغبته في رؤيته .

فألغي وسائل المواصلات الحرة بين سكان الجزيرة و (لنج وود) . ومزق الجرائد التى كانت تصل لنابليون

أوكان يقص منها الاعمدة التي يجدها غير مناسبة فلا يود اطلاعه عليها . وكان يفتح خطاباته قبل وصولها اليه . وقد أرسلت لنابليون صورة الدوق ريشستادت (صفحة ٥٦) مع أحد البحارة فأبى محافظ الجزيرة تسليمها إياه الا بعد مضي عدة أسابيع .

عاش نابليون بجزيرة سنت هيلانه . من اكتوبر ١٨١٥ الي مايو ١٨٢١ . أي مدة خمس سنين ونصف كانت حياته فيها علي تمام البساطه والهدوء وأخذ يكتب ماتوصيه اليه ذاكرته في التاريخ . وقد طبعت تلك المذكرات بأمر نابليون الثالث

مرض نابليون فتنبأ رفاقه سنة ١٨٢٠ ان حياته قصيرة . وفي ديسمبر من تلك السنة بلغه نعي اخته (إليزا) . فاذرفت عيناه الدمع وأخذ يتمتم ويقول . « أرأيتم . لقد فتحت لي الباب إليزا . ان الموت الذي لم تعرفه عائلة بونابرت . طرق بابها اليوم واختار إليزا . آه . ان دوري ليس ببعيد » وكان ماقال ففى ٥ مايو سنة ١٨٢١ . تنفس نابغة الحروب وبطل

﴿ نابليون في المنفى ﴾

(استرليتز) النفس الأخير وشهق الشهقة الأخيرة وامتد علي فراشه جثة هامدة وبجانبه سيفه الذي كان يتقلده في موقعة مارنجو .

وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٨٤٠ دوت المدفع في باريس علي مسمع من الملايين المحتشدة . وظهر موكب فخم لم تر العيون أعظم منه هيبة وجلالا وما وصل هذا الموكب تحت أقواس النصر حتى سمعت الملايين بكاء هو أقرب الي زئير الاسود المتألمة منه الي النوح والاعوال. أولئك هم بقية الجيش الاعظم يبكون ويستبكون عند رؤية قائدهم وامبراطورهم راجعا علي آلة حدباء الي عاصمته حيث يرقد الرقدة الأخيرة الابدية .

قبر نابليون : واذا توجهت لرؤية قبر نابليون العظيم . في المكان المعروف بالانفاليد . تقف وقد تجشمت أمامك العظمة والجلال . ترى البناء الفخم الذي يشمل قبة عالية قد وضعت تحتها رفات هذا الجندى الباسل في منخفض من المكان . بحيث يتحتم علي كل من يريد أن يلقي نظرة على القبر أن يحني رأسه بارادته او رغماً عنه إجلالا لمن أصبح

تحت الثرى جسداً هامداً وصعيداً جرزا .

هناك على باب القبر الذي ينزل اليه بسلالم من المرمر قد كتبت بالفرنسية بحروف من ماء الذهب آخر إرادة لهذا الجبار كتبها بخطه وتوقيعه (٦ ابريل سنة ١٨٢١) . يوصي فيها بدفنه على ضفاف السين وسط الشعب الفرنسي الذى أحبه دائما .

وقد زين هذا الباب واركان القبر بالاعلام التاريخية التى استولي عليها نابليون في مواقعه المتعددة ووضعوا في جوانب نفس المكان علي يمين الداخل ويساره تمثالين لاخوى نابليون چيروم ويوسف وهما ملكا اسبانيا وايطاليا .

ومن أروع ما تشاهده في المتحف الحفرى بمدينة باريس حجرة نابليون وهو بجزيرة سنت هيلانه علي فراش الموت وبجانبه خادمه الامين مطأطئا رأسه وقد أدركته سنة من النوم .

المؤلف

فهرس الكتاب

صفحة	الفصل	
٧	الاول	أيام الصبا
١٧	الثانى	غرام نابليون — حياته الزوجية
٢٧	الثالث	نابليون بعد الزواج
٣٢	الرابع	بداية الشك وطلاق چوزفين
٤٣	الخامس	الزوجة الثانية — ماري لويز .
٥٩	السادس	نابليون في ميادين السلم
٧١	السابع	اخلاق نابليون
٨٨	الثامن	الدين في نظر نابليون
٩٠	التاسع	نابليون في ميادين الحرب - الحملة الايطالية
١٠٣	العاشر	نابليون في مصر
١١٦	الحادى عشر	حروب القنصلية الاول
١٢٠	الثانى عشر	حروب نابليون الامبراطور
١٣٤	الثالث عشر	طالع النحس
١٣٩	الرابع عشر	عودة نابليون — النضال الاخير
١٤٧	الخامس عشر	أخلاقه مع قواده وجنوده
١٥٣	السادس عشر	الحياة في المنفى — موت نابليون

OCT 1974

i15048147
b13204087

DC
203
S3x
1928

24 NOV 1987

1000001897 8